روائع الأدب العالمي للناشئين

رحلة إلى مركز الأرض

جول فيرن

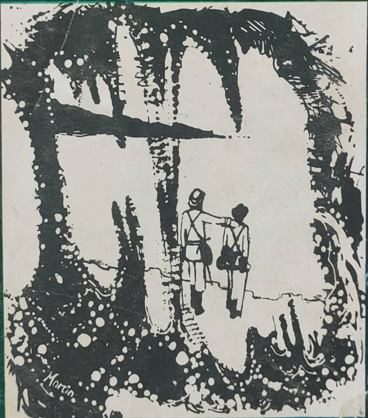

رحلة إلى مركز الأرض

جول فيرن

ترجمة: صبري الفضل

رحلة إلى مركز الأرض

القراءة للجميع
مهرجان صيف ٩٧
جمعية الرعاية المتكاملة

مهرجان القراءة للجميع ٩٧

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأدب العالمى للناشئين)

رحلة إلى مركز الأرض

جول فيرن

ت: صبرى الفضل

الغلاف

الإشراف الفنى:

للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب

على سبيل التقديم...

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم صفحات متألقة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر القوة فى عالم اليوم..

صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

المقـدمة

تهيىء المخترعات العلمية ،والترحال ، والمغامرات المثيرة توليفة محبوبة للعديد من القراء · كان جول فيرن أحد الرواد الذين اكتشفوا هذه التوليفة · وظهر منذ ذلك الحين ، الكثـير من كتاب قصـــص المغامرات العلمية · ولكن ما زالت كتب جول فيرن يقرأها الجميع فى شتى أنحاء العالم · ولقد تمت ترجمتها من اللغـة

الفرنسية وهى اللغة الأصلية التى كُتبت بها منذ أكثر من مائة وعشرين عاما الى لغات كثيرة ، وكانت موضوعا للعديد من المسرحيات والأفلام السينمائية ·

ولد جول فيرن فى نانتى بفرنسا فى عام ١٨٢٨ · درس القانون ، وجذبت بعض قصص الرحلات التى كتبها لصحيفة باريسية اهتمام الجمهور ، فكرس وقته عندئذ لكتابة القصص التى جعلته مشهورا ·

وربما شاهد بعض القراء فيلم « حول العالم فى ثمانين يوما » وهى الرواية التى كتبها جول فيرن فى عام ١٨٧٣ ، قبل اختراع السيارة · وفى رواية « عشرين فرسخا تحت البحر » (١٨٧٠) أبحرت شخصياته عند القطب الشمالى فى السفينة الخيالية « ناوتيلوس » ولقد تمت هذه الرحلة فى الواقع ، لأول مرة بالفعل فى عام ١٩٥٨ ، وفى غواصة سميت

باسم « ناوتيلوس » أيضا ·· نفس الاسم الذى أطلقه جول فيرن على سفينته الخيالية ·

وكتبت « رحلة الى مركز الأرض » فى عام ١٨٦٤ ·· هل يوجد حقا عالم تحت سطح الأرض ؟ وهـــل يمكن لأى انسان أن يذهب الى هناك ، ويعود حيا ؟ لنر ·· !!

الفصل الأول

الاكتشاف

فى يوم الأحد ٢٤ مايو عام ١٨٦٣ ، رجع عمى البروفسير ليدنبروك مسرعا الى منزله الصغير فى الحى القديم من هامبورج رقم ١٠ شارع كونيج (شارع الملك) .. وظننت مارتا ، طاهيتنا ، فى الحال أنها لابد متأخرة فى اعداد وجبة الغذاء **وقلت لنفسى :**

ــ والآن ستكون الطامة الكبرى ، اذا كان عمى جائعا ، فهو من أضيق الناس صدرا فى العالم .

وصرخت المرأة المسكينة فى صوت خائف :

ـ لقد عاد مستر ليدنبروك مبكرا !

ـ أجل يا مارتا ، ولكن الغداء ليس جاهزا بعد بالطبع ، فالساعة لا تزال الواحدة والنصف فقط .

فسألت مارتا :

ـ لماذا عاد مستر ليدنبروك مبكرا هكذا اذن ؟

فقلت :

ـ سيخبرنا عن ذلك بنفسه .

ـ ها هو ذا قادم .. لابد أن أعود الى المطبخ . وأخبره أنت لماذا لا يمكنه تناول غداءه الآن .

كنت بمفردى ، ولكنى لم اشعر بأننى على استعداد لشرح الامور للبروفسير غير الصبور .. وكنت على وشك الهروب الى حجرتى بالطابق العلوى ، وعندما جاء سيد المنزل راكضا عبر حجرة الطعام وذهب مباشرة الى حجرة مكتبه . وعندما مر بى ، ألقى عصاه فى الركن وألقى قبعته على المنضدة **وصاح بى :**

ـ أكسيل ، اتبعنى !

وقبـل أن أتحرك ، **نـادى مرة أخرى ، فى صوت نافد الصبر :**

ـ ماذا ! ألم تأت بعد ؟!

وهكذا قفزت ، وتبعت سيدى الفظيع الى حجرة مكتبه •

لم يكن أوتو ليدنبروك رجلا سيئا • ولكنــه كان حاد الطباع ، ومن الصعب ارضاؤه •

كان استاذا فى الجامعة ، يعطى دروســا فى الجيولوجيا (١) ، وكثيرا ما كان فى هــذه الدروس يفقـد صــبره ويثـور • ولم يكن ذلك لأنـه كان قلقا على طلابه : هل عملوا واجباتهم بطـريقة جيدة أم سيئة •• أو هل هم انتبهوا لما قاله أو لم ينتبهوا أو هل هم نجحوا فى الامتحانات أم رسبوا ••

لم تكن هـذه الأمور تقلقه على الاطلاق •• كان يدرس بطريقته الخاصة ، ولارضاء نفسه فقط • أما ما

---

(١) علم دراسة طبقات الأرض وصخورها •

يظنه الآخرون فى طريقة تدريسه ، وما يتعلمه الآخرون من تدريسه ، فلم يكن له أية أهمية لديه ٠

هناك كثير من الأساتذة من هذا النوع فى المانيا٠ ولسوء الحظ كان عمى يجد بعض الصعوبة فى الحديث أو على الاقل ، عندما كان يتحدث أمام الجمهور ٠ وهذا أمر يؤسف له بالنسبة لهـؤلاء الذين يتحتم عليهم التحدث للجمهور ٠ وكان أثناء القاء دروسه فى الجامعة ، كان غالبا ما يتوقف فجأة ، عندما ترفض بعض الكلمات العلمية الطويلة أن تهرب من فمه ٠ وفى مثل هـذه الأوقات قد تكون الكلمة التى تخرج كلمة بذيئة وعنيفة ٠ وعندئذ ، بالطبع ، كان يفقد صبره ٠

هذا وتوجد فى الجيولوجيا أسماء كثيرة صعبة ٠٠ نصفها يونانى ، نصفها الآخر لاتينى ، أسماء مزعجة طويلة ، أسماء تؤذى فم المتحدث وأذن السامع ٠

ويعرف الشباب ، بالطبع ، أن لعمى هـذه

الصعوبة فى الحديث ، فلقد اعتادوا على سماع أمثلة منها . وكانوا يحبون الانتظار لسماع أمثلة لهـــا ، عالمين ما قد يحدث ، وعندما تأتى انفجـارة الغضـب كانوا يضحكون .. ومن المحتمل ، أن يكون هذا هــو السبب فى قدوم كثير من الطلاب للاستماع الى عمى .

كانوا يحبون أن يضـــحكوا على انفجارة عمى العصبية أفضل من أن يتعلموا جميع تلك الأشياء التى كان قادرا على أن يدرسها . وعلى أية حال ، وهذا مـا أستطيع قوله ، كان عمى رجل علم حقيقى .

فاذا أعطيته أى حجر ليفحصه ، فقد ينظــــر اليه ويتحسسه ، أو يطرق عليه وينصت للصـــوت الذى يصدر منه ، أو يشمه وقد يخبرك فى كل حالة عن كنهه ، ومما هو مصنوع ، وربمـــا من أين أتى . ويوجد اليوم حوالى ستمائة نوع من الأحجار معروفة لنا ويســـتطيع عمى أن يخبرك فى الحـــال من أى نوع من هذه الأنواع الستمائة يكون هذا الحجر .

وقد يزوره أعظم رجـــالات العلم ، ليســألوه

النصيحة فى الأمور التى تستعصى عليهم · ولقد قام بعدة اكتشافات لها قدر كبير من الأهمية العلمية العظيمة ·

هذا ، اذن ، هو الرجل الذى نادانى بصوت نافد الصبر ·

كان رجلا طويلا ، نحيفا ، له جسد كالحديد ، يبدو مثل رجل فى الاربعين لا فى الخمسين من عمره · له عينان كبيرتان تدوران من خلف نظارته الكبيرة ، وأنفه الطويل الرفيع يجعلك تفكر فى طرف السكين · وقال بعض الناس أن أنفه كان نوعا من المغناطيس ، وأن قطع الصلب الصغيرة تنجذب اليه ·· ولكنى أستطيع أن أقول لكم أن هذا لم يكن حقيقيا · كان يمشى بمعدل ثلاث أقدام فى كل خطوة ، ويركض بمعدل أربع أقدام فى كل ركضة ·

كان يعيش فى منزله الصغير فى شارع كونيج، فى وسط الحى القديم بهامبورج · وبالرغم من أنه كان أستاذا فقط ، الا أنه كان ثريا بقدر كاف ·· فكان

المنزل ملكه ، وكذلك جميع ما يتعلق به ، وكانت من بين ذلك ابنته جروبن التى كانت فى السابعة عشرة من عمرها ، وخادمته مارتا ، وأنا ، أيضا . وحيث أن أبى وأمى قد توفيا ، وكان هو عمى الوحيد ، لذا عشت معه ، وساعدته فى عمله .

يجب أن أخبركم بأننى محب للجيولوجيا . فأنا لا أشعر بالوحدة أو التعب فى صحبة الأحجار والصخور .

وعلى العموم ، كان من الممكن الحياة بشكل موفور السعادة للغاية فى هذا المنزل الصغير بشارع كونيج ، رغم ضيق صدر المالك ، فهو برغم أن لديه طريقة جافة فى اظهار حبه ، الا أنه كان يحبنى بالفعل . والحقيقة هى أنه كان رجلا غير قادر على الانتظار ، وكان أكثر تعجلا من الطبيعة نفسها .

فعندما كان يزرع الزهور فى ابريل ، كان يواظب على الذهاب اليها كل صباح بانتظام ليشد أوراقها الخضراء ، حتى يجعلها تنمو بسرعة أكبر .

ولهذا عندما ناداني عمى ، كان هناك أمر واحد فقط ، ألا وهو الطاعة والامتثال · فاندفعت الى حجرة مكتبه فى الحال ·

كانت حجرة مكتبه عبارة عن مخزن ، فهناك يمكن العثور على كل أنواع الاحجار ، مرتبة ووضعت عليها أسماؤها بشكل مثالى · كم أعرف أنا هذه الأحجار جيدا ! وكم قضيت من الوقت أسلى نفسى بتنظيفها ، بدلا من اللعب مع أقرانى ·

ولكننى عندما دخلت حجرة المكتب آنئذ ، لم أفكر فى هذه الأحجار المدهشة ·

فكل انتباهى كان متجها الى عمى · كان جالسا على كرسى كبير ، وممسكا بكتاب فى يديه ، ناظرا اليه بأعظم اعجاب ، وصرخ قائلا :

ـ يا له من كتاب ! يا له من كتاب !

يجب أن أخبركم الآن أن البروفسير ليدنبروك كان فى نفس الوقت محبا للكتب ، كان مجنونا بموضوع الكتب ، ولكن لم يكن الكتاب القديم له أية

قيمة الا اذا كان كتابا لا يمكن أن يوجد مثله فى أى مكان آخر ، أو كتابا لا يستطيع أحــد أن يقرأه ، **واستمر قائلا :**

– ماذا ! ألا ترى اذن ؟ انه كنز ! اكتشــفته صباح اليوم فى مكتبة قديمة ٠

فأجبت :

– مدهش !

ولكنى لم أستطع ادراك سبب هذا الانبهار ازاء كتاب قديم مغطى من الخلف والجوانب بجلد مصفر قذر ٠ **فقال وهو يسأل نفسه أسئلة ويجيب عليهـا فى الوقت نفسه :**

– أنظر ! هل هو جميل المنظر ؟ ٠٠ أجـل ، بالطبع !٠٠ هل هو فى حالة جيدة ؟ ٠٠ أجل ، أنه فى حالة مثالية ٠٠ هل يمكن فتحه بسهولة ؟ ٠٠ أجل أنه يفتح على أية صـفحة ٠٠ انه يفتح ويقفل بشكل مثالى ٠ ومع ذلك فعمره ستمائة سنة !

وأخذ عمى ، طيلة الوقت وهو يتحدث ، يفتح

ويقفل الكتاب العتيق . وشعرت بأننى يجب أن أقول شيئا عنه ، رغم أننى لم أحس بأدنى اهتمـــام بــه فقلت مستفسرا :

ـ وما اسم هذا الكتاب المدهش ؟

فأجاب باثارة أكثر مما قبل :

ـ اسمه ؟ اسمه « هايمز كرينجــلا » للكاتب « سنور تورليسون » .. الكاتب الأيسلاندى المشهور الذى عاش منذ ستمائة عام . انه قصـــة الأمـــراء النرويجيين الذين حكموا أيسلنده .

فقلت باذلا كل ما فى وسعى لأبدو متشوقا :

ـ حقا ! .. وهل هو مكتوب باللغة الألمانية ؟

فصرخ البروفسير قائلا :

ـ باللغة الألمانية ! كلا ، بالطبع لا .. انه نفس الكتاب كما هو ، ومكتوب باللغة الأيسلندية .. تلك اللغة القديمة الجليلة !

فاجبت قائلا :

ـ أوه ، فهمت ،وهو مطبوع طباعة جيدة ، أليس كذلك ؟

ـ مطبوع ؟ من تكلم عن الطباعة ؟ هل تعتقد أنه مطبوع ، يالك منأحمق ! انه مكتوب باليد ، وبالحروف الرونية (١) ، أيضا ٠

ـ الرونية ؟

ـ أجل ، ألا تعرف ماذا تعنى ؟ هل تريدنى أن أشرح هذه الكلمة ؟

فأجبت قائلا :

ـ كلا ، بالطبع لا !

ولكن عمى استمر فى شرحه ، وأخبرنى كل شيء عن أمور لا أريد أن أعرفها :

ـ الحروف الرونية كانت تستخدم فى أيسلنده

(١) حروف أبجدية تيوتونية قديمة ٠ و « الرونية » علامة شبيهة بالحرف الرونى تنطوى على معنى خفى أو سحرى ٠

ويقال أنها من وضع الآلهة · أنظر اليها ! تعجب لها ! أنظر الى هذه الحروف التى وضعتها الآلهة !

وفى هذه اللحظة انزلقت مخطوطة من الجلد ، قديمة قذرة من طيات الكتـــاب القديم ، وسقطت على الأرض ·

فقفز عمى نحوهـــا ، ويمكنكم أن تتخيلوا ذلك بسهولة · ولابد أن مخطوطة من قديم الزمان وضعت بين طيات كتاب قديم ربما لعدة مئات من السنين ، لابد أن تبدو له ذات قيمة عظيمة ·

فصرخ قائلا :

ـ ما هذا ؟

ووضع بعناية هذه القطعة من الجلد الرقيق على المنضدة ، كانت حوالى خمس بوصـــات طولا وثـلاث بوصات عرضا ، ومدون عليهـــا الحروف الغريبـــة التالية :

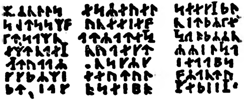

ونظر البروفسير الى هــذه الحروف لعدة دقـــائق ثم قال :

ـ انها حروف رونية ! وهذه‌العلامات تشبه تماما تلك التى فى الكتاب · لكن ماذا يمكن أن تعنى !

ولما بدت الرونية لى انها اختراع رجال بارعين ليزعجوا بها الناس الذين لديهم ما يكفيهم من ازعاج، فلم أكن آسفا أن أرى عمى لا يستطيع أن يفهمها·

وقال لنفسه :

ـ أجل ، انها اللغة الأيسلندية القديمة !

وبالطبع فقد عرف البروفسير ليدنبروك أنهـــا

اللغة الأيسلندية القديمة ، لأنه كان معروفا بأنه أستاذ لغات مدهش . ولم يكن يتحدث الألفى لغة المستخدمة فى العالم ، ولكنه كان يعرف الكثير عن معظمها .

وبالتأكيد كانت صعوبة كهذه توقظ كل نفـاد الصبر فى طبيعته ، وكنت متوقعا انفجارة أخرى من الألفاظ البذيئة ، عندما رنت الساعة الثانية ، وفتحت مارتا باب حجرة المكتب . وقالت :

ــ الغداء على المائدة .

وكانت اجابة عمى انفجـارة عنيفة من اللغــة البذيئة . فركضت مارتا ، وركضت من ورائها ، الى أن وجدت نفسى فى مقعدى المعتاد فى حجرة الطعام .

كانت هذه هى المرة الأولى التى أراه فيها يتأخر عن الغداء المهم بالنسبة له . وأى غداء ! .. غــداء مدهش .. وسيخسره عمى من أجل مخطوطة قديمة. وهكذا بذلت ما فى وسعى أن آكل نصــيب عمى مع نصيبى .

وصرخت مارتا الطيبة قائلة :

ـ اننى لم أر أى شىء مثل هذا من قبل ! مستر ليدنبروك لا يأتى الى الغداء ! لا أستطيع أن أصدق ذلك ! أخشى أن يكون هناك شىء فظيع سيحدث ٠

وكانت فكرتى أن الشىء الفظيع الوحيد الذى قد يحدث هو انفجارة الغضب من عمى عندما يجد أن غداءه قد أكله غيره ٠

كنت قد انتهيت لتوى من الاكل عندما نادانى صوت كالرعد ، فقفزت من على المائدة ، وطرت الى حجرة المكتب ، **وقال البروفسير :**

ـ انها بالطبع ، الرونية ، ولكن يوجد سر فيها ، وسوف أكتشف هذا السر ، والا ٠٠٠

وأنهى ما كان يقوله بكلمات ، وحركات عنيفة ، **وأضاف قائلا ، مشيرا الى المنضدة :**

ـ اجلس هناك ، وأكتب ؟

وكنت مستعدا فى لحظة ٠

– والآن ، سوف أقرأ عليك كل الحروف الحديثه المماثلة لحروف هذه اللغة الأيسلندية · وسوف نرى ما سوف يعطينا ذلك · ولكن انتبـه ولا تقترف أى خطأ !

وبدأ عمى يقرأ الحروف · وبذلت قصارى جهدى وفى النهاية كان أمامى هذه المجموعات الغريبـــة من الكلمات التالية :

م م · ر ن ل ل س ى س ر ى و ى ل
س ى ى ك ج ل د ى س ج ت س س مف
ا و ن ت ى ى ف ن ا ى د ر ك ى
ك ت ، س أ م ن أ ت ر أ ت ى س
س أ و د ر ر ن ى م ت ن أ ى ل
ن و أ ى ك ت ر ر أ ل س أ
ك ك ل ر م أ ى ى و ت و ل
ف ر أ ن ت و د ت ، ا أ ك
و س ى أ ب و ك ى د أ أ ى

وعندما انتهيت من كتابة هذه الكلمات الغريبة، أخذ عمى الورقة منى بخشونة ، ونظر اليهـا بعناية لمدة طويلة ، وسأل ثانية :

ـ ماذا يمكن أن تعنى ؟

لم أستطع أن أخبره ، علاوة على أنه لم يسألنى، كان يحدث نفسه ·

ـ انها ما نسـميه بالشفرة ، حيث يكون المعنى مختبئـا بسـبب خلط الحروف ، ولكى تعطى معنى واضحا لابد أن ترتب فى شكلها الصحيح · ربمـا لدينا هنا التفسير لاكتشاف عظيم ·

وكانت فكرتى أنه لا يوجد أى معنى فيهـا على الاطلاق ، ولكنى كنت حكيما تماما فى ألا أقول ذلك·

وأخذ البروفسير الكتاب والمخطوطة مرة ثانية ، وأخذ يقارن بينهما ، وقال :

ـ لم يكتب الاثنين شخص واحد ، فالشـفرة

كتبت بعد الكتاب بفترة طويلة · وها هنا أمر يثبت ذلك · الحرف الأول يقوم مقابل م م ، الذى لن تجده فى كتاب توورليسون ، لأنه لم يستخدم الا بعد فترة زمنية طويلة من حياة توورليسون · ولذلك فهناك على الأقل نحو مائتى سنة بين الكتاب والمخطوطة ·

كان هذا يبدو معقولا ·

ـ لذلك أعتقد أن هــذه الحروف الغريبة قد كتبها شخص اقتنى الكتاب · ولكن من هو ؟ ·· هل وضع اسمه ، يا ترى ، وفى أى جزء من الكتاب ؟

وبدأ عمى عندئذ يفحص بدقة الصفحات الأولى من الكتاب · واكتشف على ظهر الصفحة الأولى شيئـا يشبه علامة متسخة · ولكن بعد ما فحصها بدقة أكثر أمكن رؤية بعض الحروف · ورأى عمى على الفور أن هذه نقطة رئيسة تثير الاهتمام · ونظر اليهـا مرات ومرات من تحت نظارته ، حتى أمكنه فى النهاية أن يدرك أن هذه العلامات ما هى الا حروف رونية فقـام باعادة كتابتها بوضوح ·

واخذ عمى يفكر فى حل الشفرة ٠

وصرخ قائلا :

ـ « آرنى ساكنوسيم » ! لماذا ، ذلك اسم ، وهو اسم أيسلندى ، وأيضا ، انه اسم عالم مشهور عاش منذ ثلاثمائة عام !

ونظرت الى عمى نظرة اعجاب ، واستمر قائلا :

ـ هؤلاء العلمـــاء كانوا رجال علم حقيقيين فى عصرهم ، لقد قاموا باكتشـافات قد تدهشنا كثيرا . لم لا يكون «ساكنوسيم » هذا قد أخفى فى هذه‌الشفرة سرا لاكتشاف مثير ؟ لابد أن يكون الأمر كذلك ! انه كذلك !

فاجبت :

ـ لا شك ، ولكن ما السبب الذى يدفع هـــذا الرجل لاخفاء اكتشاف مثير مثل هذا ؟!

ـ لماذا ؟ لماذا ؟ آه ، لا أدرى ·· ولكننا سوف نفهم حالا ! ·· سأصل الى سر هذه المخطوطة ، ولن آكل أو أنام حتى أكتشف ذلك !

ـ أوه !

ـ ولا أنت أيضا ، يا أكسيل

فقلت لنفسى :

ـ يا للهول · لقد أحسنت التصرف بتناولى غداء شخصين اليوم ·

وقال عمى :

ـ أول شىء نعمله ، هو أن نعثر على لغة هذه الشفرة !

وأخذت أنصت ، وعمى يستمر فى الكلام :

ـ لا شىء أسهل من ذلك · يوجد فى هذه الورقة ١٣٢ حرفا ، منها ٧٩ حرفا ساكنا و ٥٣ حرفا متحركا

.. وهذا ما نتوقع أن نجده فى كلمـــات لغات جنوب أوربا ، بينما لغات الشمال فيها حروف ساكنة أكثر . لهذا السبب أعتقد أنها مكتوبة بلغة جنوبية .

كل هذا يبدو معقولا جدا .

ــ لكن ما هى هذه اللغة ؟

وهذا ما توقعت أن يخبرنى به ، لأننى أعرف أنه ماهر جدا فى هذا الدرب من المعرفة ، فاستمر قائلا :

ــ « ساكنوسيم » هذا كان رجلا عالما ، فاذا لم يكن يكتب باللغة الأيسلندية ، فبالتأكيد كان سيكتب بلغة كانت شائعة الاستخدام بين جميع رجال العــلم فى ذلك الوقت ، وأقصد اللغة اللاتينية . واذا كنت مخطئا ، فيمكننى محاولة التجربة مع لغات أخرى . ولكنى أظن أن هذه هى اللغة اللاتينية .

كنت مندهشا لهذه المجموعة الغريبة القبيحة من الكلمات التى بدت لى مختلفة تماما عن لغة رومــا السلسة جميلة الشكل . وقال عمى :

– أجل ، انها اللغة اللاتينية ، ولكنها لاتينيـة مختلطة تماما · ففكرت فى نفسى :

– حسن جدا ، واذا أمكنك ، يا عمى العزيز فك هذا الخلط ،ستكون ماهرا بالفعل !

وقال ، وهو يأخذ قطعة الورق التى كنت أكتب عليها :

– دعنا نفحصها من البداية للنهاية · ها هنـــا ١٣٢ حرفا كلها خاطئة الترتيب · ففى بعض الكلمات لا يوجد سوى حروف ساكنة ، وهنـاك كلمات أخرى مليئة بالحروف المتحركة ·· والخامسة ، مثلا ، ا و ت ى ى ف ، أو التى قبـــل الأخيرة ، و س ى أ ب و · والآن من الواضــــح لى أن هذا ترتيب عشوائى · يبدو لى بالتأكيد أن الرسالة كتبت أولا مرتبة ، ثم قلبت رأسا على عقب طبقا لقاعدة ما ، ويجب أن أعثر على تلك القاعدة ·· وأى شخص لديه مفتاح الشفرة يمكنه قراءتها بسهولة · ولكن أين المفتاح ؟

ولم أجب ، وذلك لسبب وجيه · كنت أنظر الى صورة معلقة على الحائط المقابل لى ، صورة جروبن ، التى كانت الآن فى زيارة بمدينة ألطونا · وفراقهـا هذا جعلنى تعيسا جدا لأننا ، وأعتقد من الأفضل أن أعترف بذلك الآن ، جروبن وأنا نحب بعضنا البعض بالصبر والهدوء الألمانى · ولقد اتفقنـا على الزواج ، ولكن عمى لا يعرف شيئا بخصوص هـذا الترتيب ، لأنه كان جيولوجيا أكثر من اللازم ليفهم أمور الحب هذه ·

الفصل الثـانى

الرسالة السرية

كانت جروبن فتاة جميلة ، شقراء ، عيونهـا زرقاء ، وجادة نوعا ما فى تصرفاتها . وأخذت صورة هذه الفتاة التى أحبها بعمق عقلى بعيدا عن أفكار الكتب القديمة والمخطوطات وأحلت محلها ذكريات حلوة .

أمكننى تخيل رفيقتى ونحن نعمل ونقضى وقتنا سويا . كانت تساعدنى كل يوم فى ترتيب أحجار عمى وكانت الآنسة جروبن جيولوجية ممتازة فى الحقيقة .

فكانت تحب بحث أعمق المسائل العلمية · وكم من الساعات الجميلة قضيناها فى الدراسة سويا !

واعتدنا عندما كان ينتهى عملنا أن نخرج سويا فى جولة بجانب النهر حتى نهاية البحيرة ، نتحدث طول الطريق ونمسك بأيدى بعضنا البعض ! ·· كما اعتدت أن أروى لها قصصا مسلية ، لأجعلها تضحك ·

كنت أفكر فى هذه الأشياء عندما سمعت عمى يضرب ضربة مفاجئة على المنضدة ، فانتبهت اليه مرة أخرى ، وقال :

– أنظر هنا ! يبدو لى اذا أراد رجل أن يخلط حروف أية رسالة ، فأول ما يفكر فيه هو أن يكتب الكلمات أعلى وأسفل ، بدلا من أن يبدأ من اليسار الى اليمين ، وفى مجموعات خمسة أو ستة حروف ·

– حقا !

– يجب أن نرى ما سيفعله ذلك · أكتب بعض الجمل على قطعة الورق هذه ، ولكن بدلا من وضع

الحروف واحدا بعد الآخر ، ضعها واحدا تحت الآخر فى مجموعات من خمسة أو ستة حروف .

وفهمت ما يقصده ، وكتبت فى الحال من أعلى الى أسفل :

أ أ ت ب غ
ح ع ى ن ى
ب ز ج أ ر
ك ى ر ل ة
ى ز و ص !

فقال البروفسير بدون قراءة ما قد كتبت :

ـ عظيم جدا ! والآن رتب هـــذه الكلمـات على السطر .

ففعلت ، وكانت هذه هى النتيجة .

« أأتبغ حعينى بزجار كيرله يزوص ! »

فقال عمى ، آخذا الورقة :

ـ هكذا تماما ، هذا يشبه المخطوطة القديمـة .

فالحـروف المتحـركة والسـاكنة متجمعـة بنفس النظام ٠

كنت لا أستطيع الا أن أظن بأن كل هذا صحيح تماما ، **وقال عمى :**

– والآن ، لا أدرى ما قد كتبت ، ولكن كل مـا أحتاجه هو أن آخذ أول حرف من كل كلمة على التوالى: الاولى ، ثم الثانية ، والثالثة ، وهكذا بالترتيب ٠

ولدهشته ٠ وبالتأكيد لدهشـتى أنا أكثر ، **قرأ عمى :**

« أحبك يا عزيزتى جروبن الصغيرة » !!

فقال عمى :

– ما هذا ، ما هذا ؟

لقد كتبت هـذا دون أن أدرى فى الحقيقـة ، كالمجنون الغارق فى الحب ٠

فاستمر عمى قائلا بصوت قاس جدا :

– آه ! انك تحب جروبن !

فقلت :

ـ أجل ·· لا ·· أقصد ·· حسن ··

فقال ثانية :

ـ آه ! انك تحب جروبن ، حسن ، حسن ، دعنا نحاول هذه الخطة مع المخطوطة ·

كان عمى يفكر فقط فى الشفرة · ونسى على الفور الكلمات التى أباحت له بسرى ·

وازدادت عينا البروفسير ليدنبروك لمعانا ، عندما أخذ المخطوطة بأصابع مرتعشة · كان متهيجا بشكل كبير · وأخيرا ، قرأ بصوت جاد الحروف التالية ، قارئا أول حرف من كل كلمة ، ثم الثانية ، وهكذا ، كما فعل بجملتى سيئة الحظ :

م م ى س س و ن ك ا س ى ن ر ا · ى ك ·
ى ك ى ر و ل س ، ق ت ص ص ف ، ع ى و هـ ن ى
ل هـ ى و ا ب ت ى ل و و ا ى ا م ى ك
م ع ط ل م ف و ى ن س ن ا ·

يجب أن أعترف بأننى شعرت بالاثـارة عندمـا جئت الى النهاية • كانت الحروف نفسها وهو يقرأها تبدو بلا معنى ، ولكنى توقعت أن أسمع عمى يقـرأ مقطوعة لاتينية جميلة ••

ولكن بدلا من ذلك ، ولدهشتى ، ضرب المنضدة ضربة مفزعة •

وصرخ فى صوت يشبه الرعد :

ـ انها ليست هى ! انها لا تعطى أى معنى !

وفى اللحظة التالية خرج ، وركض على السلم وولى الى الشارع بأقصى سرعة عنده • وصرخت مارتا ، التى صعدت راكضة لترى سبب الضجة ، لأنه أغلق الباب وراءه بطريقة هزت المنزل من أعلاه الى أسفله ، وقالت :

ـ لقد ذهب !

فأجبت :

ـ أجل • لقد ذهب •

ـ وبدون غداء ؟

ـ لن يأكل ٠

فسالت الخادمة العجوز :

ـ ولا العشاء أيضا

فقلت :

ـ ولا العشاء أيضا ؟ ٠

فسالت مارتا :

ـ وما معنى ذلك ؟

ـ عزيزتى مارتا ، انه لن يأكل بعد الآن ولـن يدع أحدا فى المنزل يأكل ٠

ـ أوه ! اذن لابد أن نموت من الجوع !

كان هذا حقيقيا ، ولكننى لم أجرؤ أن أقول لها ذلك ٠ وكانت الخادمة العجوز خائفة ، فعـــادت الى المطبخ بوجه عابس ٠

والآن بعدما انفردت بنفسى خطرت فكرة فى رأسى : أن أذهب وأخبر جزوبن عن الموضوع برمته٠

ولكن كيف لى أن أغادر البيت ؟ وقد يعود البروفسير فى أية لحظة · ولنفرض أنه نادانى وأراد أن نبـــدأ العمل ثانية فى الشفرة · واذا لم أكن هنا عنـــدما يناديني ، فما الذى يحدث ؟

أحكم شيء هو البقاء ، ولدى الكثير لعمله ، فلقد أرسل لنا جيولوجى من فرنسا عددا كبيرا من الأحجار لكى نضع عليها أسماءها · فبدأت العمل فيها ، أفحصها وأرتبها ·

ولكن لم يمنعنى هذا العمـــل من التفـــكير فى المخطوطة القديمة · فشـــعرت بالقلق وبدأ ينتابنى شعور غير مريح · وتملكتنى الفكرة بأن شيئا مزعجا سوف يحدث ·

وبعد ساعة من العمل أصبحت جميع الاحجار فى أماكنها الصحيحة ، وجلست على الكرسى الكبير أرهف السمع ، وانتظر وجوع عمى · ولكن لم أسمـــع أى صوت ·· ترى أين يكون ؟ تخيلته كما لو كان سائرا بخطوات طويلة على طول الطريق الى الطونا ، بـين

الأشجار الجميلة ، وهو يقوم بحركات نافذة الصبر ، قاطعا قمم الزهور بعصا ، ومفزعا الطيور على أغصان الشجر ·

هل سيجد السر أثناء سيره ، ويعود مبتسما وسعيدا بنجاحه ؟ أم هل سيطرد فكرة العثور عليه من ذهنه ، ويعود تعيسا ، خائب الأمل وسيىء المزاج ؟ وبينما كنت أسأل نفسى هذه الأسئلة ، اخذت الورقة التى كتبت عليها مجموعات الحروف ، وقلت لنفسى :

ـ ماذا يمكن أن يعنى هذا ؟

وحاولت ان أرتب الحروف لكى أشكل كلمات · فكان هذا مستحيلا ·

وأخذت أرتبها بهذه الطريقة وبتلك ، واضعا اثنين أو ثلاثة ، أو خمسة أو ستة حروف سويا ، ولكنى لم أستطع ان أخرج بأى معنى منها · حقيقى أمكننى أن أكون الكلمة الانجليزية « ثلج » و « سيد » ، ولاحظت فى منتصف الورقة الكلمات اللاتينية :

فقلت لنفسى : yata, mutabile, ira, nec, atra

ــ حسن ، ان هذه الكلمات الأخيرة تبرهن أن عمى على صواب بخصوص اللغة التى كتبت بها · ولاحظت فى السطور أيضا كلمة Luco كما لاحظت كلمات : mer, arc, mere وهى كلمات فرنسية ·

كانت كافية لتوصيل أى شخص للجنون ، ثلاث لغات مختلفة فى هذه الرسالة عديمة المعنى · وحاولت مرات كثيرة أن أجد معنى آخر متطلعا الى الورقة طويلا حتى أن الحروف بدت تطير وتدور فى رأسى · وشعرت بأننى أريد بعض الهواء · فبدأت أحرك الورقة جهة الخلف والأمام وكأنها مروحة · فوقع بصرى على ظهر الورقة ووجهها وراء بعضهما فبدا أننى استطعت رؤية بعض كلمات لاتينية فى الخلف منها cratrem, terestre

وفجأة تفتح عقلى ، وفهمت ·· لقد وجدت مفتاح الشفرة · لم يكن حتى من الضرورى قراءتها من خلال ظهر الصفحة · كلا ، بل كما كانت ويمكن قراءتها بالضبط كما قد كتبتها · لقد كان البروفسير على

صواب فى ترتيب الحروف ، وعلى صواب بخصـوص اللغة • وخطوة واحدة أخرى ستصبح من السهل قراءة الرسالة كلها ، وهذه الخطوة قد ظهرت لى بالمصادفة •

يمكن تصور كم كنت ثائرا من الفرحة ، ونزلت الدموع من عينى ، وكدت لا أرى شيئا بسبب هـــذه الدموع •

واستطعت أن أهدىء من نفسى أخيرا ، ومشيت حول الحجرة مرتين ، ثم جلست ثانية على الكرسى ، **وقلت وأنا أسحب نفسا طويلا :**

ـ والآن ، سوف أقرأها •

وقرأت كل الرسالة بصوت عال واضعا اصبعى على كل حرف الواحد تلو الآخر •

ولكنى صدمت من الفزع ! وجلست بلا حركة • ماذا ! هل فعل أى شخص بالفعل ما قرأته لتوى ؟ هل كانت لانسان ما الجرأة الكافية لهذا العمل ؟

وصرخت وأنا أقفز من الكرسى :

ـ كلا ، كلا ! لن أدع عمى يعرف ذلك · فهو لن يكتفى فقط بمعرفة ما قد حدث ، بل سـيقوم بنفس الرحلة بنفسه · ولن يوقفه شىء ·· فكونه شغوفا جدا بالجيولوجيا هكذا ، فسوف يقوم بالرحلة رغم كل شىء ، ولا يهم ما قد يحدث · وسوف يأخذنى معـه بالتأكيد ولن نعود أبدا · كلا !!

لا أستطيع أن أصف كم كنت خائفا ومنزعجا ، وصرخت :

ـ كلا ، كلا ، لن أفعل ، وطالما أسـتطيع أن أمنع عمى من الحصول على هذه الفكرة ووصولها الى رأسه ، فسوف أمنعه ، ولكنه اذا بدأ فى فحص الورقة ثانية وهو يقلبها هكذا وهكذا ، فقد يكتشف المفتاح ويعرف السر ولذلك فسوف أحرقها !

وكانت النار مازالت مشتعلة قليلا فى المدفأة · فأخذت قطعة الورق ومخطوطة « ساكنوسيم » وكدت ألقى بهما فى النار ، وهكذا أنهى هـذا السر الخطير،

ولكن باب حجرة المكتب فتح فى هذه اللحظة ودخل عمى .

ولم يكن أمامى الا أن أعيد الأوراق على المنضدة . ولم يكد يلحظ البروفسير ليدنبروك حتى وجودى أنا . كان من الواضح أنه مستغرق فى التفكير فى الموضوع أثناء سيره مستعينا بكل حكمته وخياله ، وعاد ليعمل فى حل السر ثانية .

وفى الحقيقة ، عندما جلس أخذ قلمه وبدأ يكتب ترتيبا جديدا للحروف .. وتتبعت عيناى يده . ولاحظت كل حركاته . ماذا وجد ؟ كنت خائفا ، ولكن لا داعى أن أكون هكذا ، حيث أن الترتيب الصحيح ، والوحيد ، قد وجدته ، وليس من المجدى محاولة طريقة أخرى .

واستمر عمى فى عمله لمدة ثلاث ساعات بدون حديث أو حتى دون أن يرفع يده ، وهو يعيد الكرة مرات ومرات .

وعلمت تماما أنه اذا نجح فى ترتيب كل الحروف بجميع الطرق المختلفة الممكنة ، فلا بد أن تظهر الجملة الصحيحة · ولكنى أعلم أن عشرين حرفا فقط يمكن ترتيبها فى ٤٣٢٠٠٠٩٠٢٠٠٠٠٠٨٠٠١١٧٥٦٤٠٠٠٠ ٢٠٠٠ طريقة مختلفة · ويوجد هنا فى الرسالة (١٣٢) حرفا ، وستجعل هذه ال ١٣٢ حرف عدد الطـــرق المختلفة كبيرا جدا لدرجة أننا اذا اردنا أن ندونهـــا فسنستخدم أرقاما كثيرة جدا ·

وهكذا بدا لى أن البروفسير لن يستطيع الوصول الى السر بهذه الطريقة · ولكن الوقت مضى ، وجـــاء الليل · وأصبح الشارع خاليا من أية ضوضاء ، ولكن عمى كان مازال يعمل فى الشفرة ، ولا يرى شيئا ، ولا حتى مارتا عندما فتحت الباب وقالت :

ـ هل تريد أى عشاء يا سيدى ؟

لم يسمعها مطلقا ، وما كان على الخادمة الطيبة الا الذهاب دون الحصول على جواب · أما عن نفسى ، فقد ظللت متيقظا قدر ما أستطيع ، ولكنى شعرت فى

النهاية بالتعب الشديد ونمت على الكرسى ، بينما استمر عمى فى عمله ٠

وعندما استيقظت فى الصباح التالى ، كان البروفسير مازال يعمل ٠ وأخبرتنى عيناه الحمراوان ووجهه الأبيض كيف كان يصارع المستحيل ٠

لقد جعلنى حقا أشعر بالأسى من أجله ٠ وامتلأ الرجل المسكين بفكرة واحدة لدرجة أنه نسى كيف يصبح غاضبا ٠ وبدأت أخشى ، فمادام أنه لا يستطيع أن ينفس عن ضيق صدره بالطريقة العادية ، فقد ينتهى الأمر عن طريق انفجار !

كان يمكننى انهاء قلقه بكلمة أو حركة واحدة، ومع ذلك لم أفعل ٠ وكان قصدى طيبا ٠ فأنا لم أقل شيئا من أجل صالح عمى ٠ **وفكرت فى نفسى :** ٠

ــ كلا ، كلا ، لن أقول أية كلمة ٠ لأنه اذا عرف السرفسوف يذهب حتما ، أعلم ذلك ٠ أنه لن يهتم بأى خطر على حياته اذا استطاع ان يفعل ما لم يستطع أى

جيولوجى ان يفعله · لن أقول شـــيئا عن ذلك ، سأحتفظ بالسر الذى عرفته بمحض الصـــدفة · ان الرحلة سوف تقتله · دعه يخمن قدر ما يستطيع · وعلى أية حال ، فسوف لا تكون غلطتى اذا خمنها هو ونجح بنفسه فى كشف السر ·

وبعد اتخاذى القرار ، انتظرت · ولكنى لم أكن أتوقع أى شىء يحدث خلال الساعات القليلة التالية ·

وعندما استعدت مارتـا للخـروج لتقـــوم بالمشتروات كالمعتاد ، وجدت الباب مغلقا بالمفتاح ، ولم تجد المفتاح بالباب · من أخذه ؟ ·· لابد أن عمى أخذه ، عندما عاد من جولته فى الليلة السابقة ·

ولكن هل أخذ عمى المفتاح عن عمد ، أو هل أخذه دون أن يعرف ماذا كان يفعل ؟ ·· هل يقصد حقـا تجويعنا ؟ وبدا لى أن ذلك أكثر من اللازم · هل كان سيجعلنى أنا ومارتا نعانى بسبب أمر لا دخل لنا به ؟ ·· من المحتمل ان يكون هذا ما يقصده ، لاننى أتذكر

أنه قد فعل شيئا من هذا النوع من قبل . فعندما كان مشغولا بتأليف كتابه الشهير ، لم يأكل شيئا على الاطلاق لمدة ثمان وأربعين ساعة ، وكان على كل من بالمنزل أن يبقوا بلا طعام أيضا . أذكركم كنا نعانى الجوع آنئذ .. ويبدو أننا سوف نظل بدون افطار بنفس الطريقة التى ظللنا بها دون عشاء الليلة الماضية. على أية حال ، لقد قررت أن أكون شجاعا رغم الجوع. أما مارتا فلم تعجب بالفكرة على الاطلاق ، وبدت عابسة جدا . ولكن ما أقلقنى كثيرا هو أننى لا أستطيع الخروج من المنزل .

واستمر عمى يعمل . كان يفكر فقط فى ترتيب الحروف وليس فى مثل هذه الامور : كالراحة أو الأكل .

وحوالى الساعة الثانية عشرة بدأنا نشعر بالجوع حقا . ولقد أعدت مارتا كل الطعام المتبقى من الليلة السابقة . ولم يكن يوجد هناك طعام آخر على الاطلاق بالمنزل . ولازلت أحاول أن أبدو شجاعا .

الساعة الثانية .. وأصبح الامـــر فى منتهى الحماقة ، ننتظر الطعام ، ولا نحصل على شىء . لقد لقد وصل الأمر فوق احتمال صـبرى . وبدأت أرى الاشياء بطريقة مختلفة . ربما ، على أية حال ، لـن يصدق عمى الرسالة المكتوبة على المخطوطة . ربمـا سيضحك عليها فقط ويعاملها على أنها ليست ذات أهمية . ولنفرض حتى أنه أخذها بشىء من الجـدية ماذا يستطيع أن يفعل ؟ ونفرض حتى أنه رغب فى الذهاب الى هذه الرحلة الخطرة ، فيمكن منعه . اننى أستطيع منعه . ومرة أخرى ربما سـيكتشف السر بدون مساعدتى . وفى تلك الحالة يكون بقائى بلا طعام لا داعى له .

وبدا هذا معقولا جـدا لى ، رغم أنه فى الليلة السابقة بدا لى غير معقول بالمرة . وفكرت حتى أنه كان من الغباء أن انتظر حتى الآن . وقررت أن أبين لعمى السر عندما أستطيع ، على ألا يكون ذلك بشكل مباغت.

ونهض البروفسير وأخذ قبعته ، وكان سيخرج

.. ماذا ؟! .. هل سأدعه يغادر المنزل ويحسبنا بداخله مرة أخرى بلا طعام ؟ كلا ! .. **فناديته :**

– عمى !

ولم يبد عليه أنه سمعنى ، **فقلت فى صوت أعلى:**

– أيها العم ليدنبروك !

فقال كانسان استيقظ من النوم فجأة :

– ما هذا ، ما هذا ؟

– حسن ، هل وجدت المفتاح ؟

– المفتاح ؟ أى مفتاح ؟ مفتاح الباب ؟

فأجبت :

– كلا ، مفتاح السر ؟

وتطلع البروفسير الى ، ولاحظ ، بدون شك ، شيئا غير عادى على وجهى ، لأنه أمسك بذراعى بشدة

وتطلع الى ثانية بدون كلام ، وكأنه يسألنى سؤالا ولم يكن يستطيع أن يسألنى سؤالا اكثر وضوحا من ذلك • **وأومات براسى كأننى أقول :**

ـ أجل ، اننى لدى المفتاح ؟

وهز راسه ، كأنه يقول :

ـ انك أحمق !

وأومأت براسى مرة أخرى • فازداد لمعان عينيه، وأمسك بى باحكام أشد •

قد يبدو شيئا مسليا لأى شخص لو كان موجودا معنا ليرى هذا الحديث الذى تم بيننا بلا كلام • وكنت الآن ، بالفعل ، خائفا ان اتحـــدث ، كنت أخشى أن يسحقنى حتى الموت من فرحته • وأمسك بى بأحكام أشد وأشد ، وبدأ يتسبب فى ايلامى ، **لذلك كان على ان أجيب قائلا :**

ـ أجل • لقد عرفت هذا المفتاح بالصدفة ••

فصرخ بهياج فظيع :

ـ ماذا تقول ؟

فاجبت :

ـ هنا ! خذ هذه !

وأعطيته قطعة الورق التى كتبت فيها الكلمات التى قراها على ، ثم قال وهو يستعد لالقاء الورقة بعيدا :

ـ ولكن ليس هناك أى معنى فيها !

ـ كلا ، ليس لها معنى لو بدأت من البداية ، ولكن لو بدأت من النهاية ..

وقبل أن انهى ما كنت أريد أن أقوله ، أصدر البروفسير صرخة أو بالأحرى ، يجب ان أقول زئيرا . لقد بدأ يفهم . لقد تغير وجهه تماما ، وصرخ :

ـ آه ! يا « ساكنوسيم » البارع ، جملتك مكتوبة من جهة الخلف اذن !

وبدأ يقرأ من قطعة الورق ببطء وبصوت مرتعش الرسالة كلها ، بادئا من الحرف الأخير . وكانت ، حقيقة ، بلغة لاتينية رديئة . ولكن كان المعنى واضحا كالآتى :

« انزل فى فوهة يوكول سنيفيل الذى يلمسه ظل سكارتاريس بلطف فى بداية شهر يوليو . وسوف تاتى ، أيها المسافر الشجاع ، الى مركز الأرض وهذا هو الشيء الذى فعلته . آرنى ساكنوسيم . » !!

وقفز عمى وهو يقرأ هذا ، قفز وكأنه قد امتص صدمة كهربائية . وفى هذه اللحظة كان من الرائع مشاهدة علامات الرضا والفرحة عليه .. وأخذ يسير فى الحجرة متخبطا فى الأثاث من حوله و ــ صدق أو لا تصدق ــ أخذ يلتقط بعضا من أحجاره القيمة ، ويلقى بها فى الهواء ويمسك بها وهى تقع . وأخيرا هدأ وغاص فى كرسيه ، **وسأل :**

ــ كم الساعة الآن ؟

فاجبت :

ــ الساعة الثالثة ·

ــ اننى لم أتناول طعام العشاء ! اننى أمــوت وفى حاجة للطعام ! احضروا لى شيئا لآكله فى الحال وبعدئذ ··

ــ وبعدئذ ؟

ــ أحضر لى حقيبتى الكبيرة !

ــ حقيبتك الكبيرة ؟

ــ أجل ، وترتبها ·

ــ أرتب حقيبتك ؟ لماذا ؟

وأضاف البروفسير عديم الشفقة ، وهو يخرج الى حجرة الطعام قائلا :

ــوترتب حقيبتك أنت أيضا !

وجعلت هـــذه الكلمات قلبى يغوص ، ولكنى فكرت من الأفضل أن أبدى مظهر القبول · كان من المؤكد أن عمى لن ينصت الا للحجج العلمية لمنع الرحلة وكانت الحجج المقنعـــة موجودة ·· نذهب الى مركز الأرض ! يا له من جنون ! ومع ذلك ، فسوف أتحدث عن هذه الأمور فيما بعد ، أما عملى الحالى فهو موضوع الغداء !

الفصل الثالث

انه لجنون !

لست فى حاجة لأن أقول كم كان عمى حانقا عندما وجد أنه لا يوجد طعام بالمنزل . لكننا شرحنا ذلك له . فأعطانا المفتـاح وذهبت مارتا فى الحال لشراء لوازم الغداء . وبعد حوالى ساعة فقدت شهيتى للأكل ولم أعد جائعا ، وبدأت أفكر جديا فيما يجب أن أقوله لعمى ، الذى كان ، أثناء تناول الغداء فى حالة نفسية طيبة جدا . وبدا سعيدا تماما ، وكان يضحك مرة أو مرتين ، بـل حتى قال بعض النكـات .. الشىء الذى لا يفعله عادة . وفى نهاية الوجبة قال لى أن أتبعه الى مكتبه .

فذهبت · وجلست على طرف المنضدة بعد أن جلس هو على الطرف الآخر · **وقال فى صوت لطيف الى حد كبير :**

ـ انك انسان بارع يا أكسيل · لقد انقذتنى فى الوقت المناسب ، عندما تعبت من مجهوداتى وكدت أن أتوقف عن محاولتى · سوف لا أنسى لك ذلك يا ولدى ·

ففكرت :

ـ انه الآن صافى المزاج ، وهذا هو الوقت المناسب للتحدث معه بشكل جدى ·

واستمر عمى قائلا :

ـ وفوق كل اعتبار ، **يجب ألا تخبر أحدا بهذا الموضوع · يوجد علماء غيورون منى · يجب ألا يعرفوا** أى شىء عن ذلك حتى نعود · فاذا عرفت هذه الرسالة ، **فسوف يتبع مئات من الجيولوجيين طريق** « آرنى ساكنوسيم » ·

ـ هذا ما أشك فيه يا عمى ، **لأنه لا يوجد دليل** واحد على أن هذه الرسالة حقيقية ·

ـ ماذا ! ألم نكتشفها فى الكتاب ؟

ـ أجل ، وأوافق على أن « ساكنوسيم » كتب تلك السطور ، ولكن هل معنى ذلك بالضرورة أنه قام حقا بهذه الرحلة ، ووصل الى مركز الأرض ؟ أليس من المحتمل أن تكون هذه المخطوطة نكتة حمقاء ؟

ربما لم أكن كيسا فى استخدامى هـذه الكلمة الأخيرة · ولكن لم يكن عمى غاضبا ، **وببساطة ابتسم وقال :**

ـ هذا ما سنراه بأنفسنا !

فقلت :

ـ آه ، ولكن هل تسمح لى أن أقول كل ما فى رأسى بخصوص هذه المخطوطة ؟

ـ قل كل ما ترغب يا ولدى · تكلم بحرية · انسى أننى عمك · فلقد اعطاك اكتشافك للسر الحق فى أن تتكلم معى كعالم لآخر ·

ـ حسن ، أود أن أعرف ما المقصود بهذه الكلمات :
scartaris, sneffel yokul

ـ لا أجد صعوبة فى اخبارك ذلك • فمنذ فترة قصيرة ، حدث وحصلت على هذه الخريطة من صديق لى فى لايبزيج • انها من أفضل الخرائط لأيسلنده ، وسوف تخبرنا بكل شيء نريد أن نعرفه •

وأثناء تطلعى فيها ، قال البروفسير :

ـ انظر الى هذه الجزيرة وبراكينها •• سوف ترى أن جميعها بها الاسم Yokul • اذن فالاسم Yokui مستخدم لجميع البراكين فى الجزيرة •

فسألت :

ـ حسن ، وماذا عن sneffel ؟

ـ اتبع اصبعى على طول الجانب الغربى لأيسلنده• هل ترى ريكيافيك ، المدينة الرئيسية ؟ أجل ، حسن. وماذا ترى عند هذه النقطة ؟

ـ أرى جبلا •

ـ حسن ، هذا هو Sneffel • انه جبل ارتفاعه ٥٠٠٠ قدم • وهو من أعظم جبال الجزيرة روعة ،

وبالتأكيد أشهرها فى العالم أجمع اذا كانت قمته تؤدى الى مركز الأرض ٠

فقلت :

ـ لكن ذلك مستحيل !

فقال البروفسير بحدة :

ـ مستحيل ؟ اخبرنى لماذا من فضلك ٠

ـ لأن قمته هى فوهة بركان ، ولا بد أن تكون مملوءة بحمم اللافا (١) ، ولأن ٠٠٠

ـ وماذا لو كان البركان خامدا ولم يعد نشطا ؟

ـ خامدا ولم يعد نشطا ؟

ـ أجل ، ان عدد البراكين النشطة على الأرض هى حوالى ٣٠٠ فقط ، أما البراكين الخامدة فتوجد بأعداد أكثر ٠ ومن بين هذه حاليا سنيفيل ، والانفجار الوحيد

---

(١) المادة المنصهرة الحمراء التى تخرج كالسيل من البركان وتبرد لتصبح صخورا سوداء اللون وصلبة جدا ٠

الذى نعرف أنه حدث كان فى عام ١٩٢٩ . ومنذ ذلك الحين بدأت الأصوات تخمد ، وتخمد بالتدريج ، ولم يعد الآن من البراكين النشطة .

ولم يكن لدى أى تعليق على هذا ، لذلك كان على أن أنتقل الى الكلمة العربية الثالثة ، **فسألت :**

— وماذا تعنى كلمة سكارتاريس scartaris وما علاقة أول شهر يوليو بذلك ؟

وبدأ عمى يفكر لدقائق قليلة ، وبدأت أشعر بالأمل . ولكنها كانت لحظة خاطفة ، لأنه **أردف ثانية قائلا :**

— ان ما هو ظلام لك ، هو نور بالنسبة لى .. لقد كان « ساكنوسيم » حاذقا جدا . سنيفيل له فوهات عديدة ، لذلك كان من الضرورى أن يبين أية فوهة منها تقود الى مركز الأرض . وفعل هذا بقوله أنه فى نهاية شهر يونيو تقريبا ، تلقى احدى قمم الجبال وتسمى سكارتاريس بظلها فوق فتحة الفوهة الصحيحة . أليس هذا وصفا دقيقا لطريق الذى يجب أن يسلك ؟

كان عمى ، فى الحقيقة ، حاضر الرد لكل استفسار · ورأيت فورا أنه من المحال أن أجد خطأ فى كلمات الرسالة · ولذلك بدأت أفند الأسباب العلمية الرافضة للرحلة ، فقلت :

ـ حسنا ، اذن ··· على أن أعترف بأن الرسالة فى غاية الوضوح · بل سأعترف حتى بأنها رسالة جادة · وأن المدعو « ساكنوسيم » قد وصل الى سفح سينفيل ، وقد رأى ظل سكارتاريس ملقى فوق أطراف أحد فوهاته حوالى نهاية شهر يونيو · وقد وصلت الى مسمعه قصص تدل على أن هذه الفوهة تؤدى الى مركز الأرض ، ولكن لكى أصدق أنه ذهب بنفسه الى هناك ، وقام بالرحلة بنفسه ، أو أنه عاد منها فلا ! وألف لا !

فسألنى عمى وهو يبتسم لى وكأنه يبتسم لهراء طفل :

ـ وما هى حجتك ؟

ـ حجتى أن العلم يثبت استحالة القيام بمثل هذه الرحلة ·

فاجاب البروفسير :

ـ العلم يقول ذلك ؟ آه ، ياله من شيء مزعج هذا العلم ! أليس من المؤسف أن يخبرنا العلم أن الأشياء الممكنة مستحيلة !

أدركت أنه كان يضحك بي ، **ولكنني استطردت قائلا :**

ـ أجل ، انه من المعروف جيدا أنه كلما ازددت فى النزول عمقا فى باطن الأرض تزداد الحرارة بمعدل درجة واحدة تقريبا فى كل ٧٠ قدما • وطالما أنهـــا حوالى ٤٠٠٠ميل الى مركز الأرض فلا بد أن الحرارة ستصبح حوالى ٢٠٠٠٠ درجة • ويعنى ذلك أن اقصى الصخور والمعادن صلابة لا بد أن تكون فى حالة غاز محترق • وأسألك ، اذن ، ان كان من الممكن الذهاب الى مكان مثل ذلك •

ـ اذن ، انها الحرارة ، يا آكسيل ، التى تقلقك•

ـ طبعا ، حتى لو أننا نزلنا بضعة أميال سوف نجد هناك أن الحرارة ستصبح حوالى ١٣٠٠ درجة •

ــ وأنت خائف من الانصهار ؟

فقلت وانا حانق بعض الشيء :

ــ أنني أترك ذلك لك لتجيب عليه ٠

فقال البروفسير ليدنبروك بحدة :

ــ وأنا سوف أجيب ، فلا أنت ولا أنا ولا أى أحد آخر يعرف أى شيء بالتأكيد عما هى عليه الأرض حتى بعد ميل واحد فى داخلها ٠ فالعلم دائب التغير طالما تكتشف حقائق جديدة ٠ فما يبدو حقا فى يوم ما يثبت أنه خطأ فى اليوم التالى ٠ فمنذ فترة وجيزة ، كان من المعتقد أنك كلما بعدت عن الأرض ازداد البرد أكثر ٠ ولكننا الآن نعلم أن هذا خطأ ٠ فلا يوجد أى مكان أبرد من ٤٠ أو ٥٠ درجة تحت درجة حرارة الثلج ٠ فلماذا لا يكون نفس الشيء مع الحرارة ؟ فلماذا لا يكون هناك نقطة لا يمكن للحرارة بعدها أن تزيد ؟

ولما كان عمى يفند الأفكار لا الحقائق ، فلم أستطع أن أقول شيئا ، **واستمر قائلا :**

ـ والآن دعني أقول لك هذا : لقد أثبت كثير من رجال العلم انه اذا كانت درجة حرارة باطن الأرض ٢٠٠٠٠ درجة ، لكان للغازات الحارة ضغط شديد يسبب انفجار الأرض نفسها ٠

ـ ولكن هذا اعتقاد فقط يا عمى ، لا أكثر !

ـ بالتأكيد،ولكن معظم علماء الجيولوجيا يوافقون على أن ما بداخل الأرض ليس مكونا من غاز ولا ماء ، بل من المعادن والصخور الثقيلة المعروفة ، لأنه فى تلك الحالة سيكون وزن الأرض نصف ما هى عليه فى الحقيقة٠

ـ أوه ، انك تستطيع أن تجعل الأرقام تثبت أى شىء !

ـ والحقائق أيضا يا ولدى ٠ فليس حقيقيا أن عدد البراكين أخذ يقل منذ الأيام الأولى للعالم ٠ واذا كانت هناك حرارة مركزية عظيمة ، فهل من المحتمل أن تقل قوتها ؟

ـ اذا بدأت تفترض أشياء يا عمى ، فليس عندى ما أضيفه ٠

ـ ويمكنني القول أن ما افترضه هو ما يفترضه معظم رجال العلم المشهورين ٠ هل تذكر الزيارة التي قام بها لي سير همفري دافي العالم الكبير في عام ١٨٢٥ ؟

ـ كلا ، لا أذكرها بالمرة ، فلقد جئت للدنيا بعد ذلك بتسعة عشرة عاما فقط ٠

ـ حسنا ، لقد جاء همفري دافي لرؤيتي عند مروره بهامبورج ، وبين الأشياء التي تحدثنا عنها : ما قد يكون عليه شكل باطن الأرض ٠ولسبب ، لم يجد العلم له اجابة ، اتفق كلانا أنها لا بد أن تكون صلبة ٠

فسألت في دهشة :

ـ وما هو هذا السبب ؟

ـ انه كالآتي : اذا لم يكن باطن الأرض صلبا ، لكان له مد كالبحر ٠ ولتحرك مرتين يوميا تجاه القمر وبعيدا عنه ، ولكان لدينا تحركات أرضية عنيفة في كل مكان وفي كل وقت ٠

فقلت :

ـ ومع ذلك ، فالأرض كانت في زمن ما في حالة

اشتعال ، ويجب أن نوافق على أن الجزء الخارجى قد برد أولا ·

فقال عمى :

ـ كلا ، ان الجزء الذى كان فى حالة اشتعال من الأرض هو سطحها · فبعض المعادن تبدأ فى الاشتعال عندما يلامسها الماء · حسنا ، وسطح الأرض كان مكونا من هذه المعادن ، وعندما سقطت عليها الأمطار تفجرت محدثة حرائق · وعندما استمرت الأمطار فى الهبوط على الأرض تسببت فى حرائق جديدة قد تتفتق عن انفجارات وتشققات · وهـذا هو سبب وجود براكين كثيرة فى العصور الأولى ·

وبدأت ، فى الحقيقة ، أعتقد أن عمى على صواب ، **واستمر قائلا :**

ـ أنت تعرف يا أكسيل أن علماء الجيولوجيا قد تساءلوا دائما عن شكل منتصف الأرض ، ولكنهم لم يثبتوا مطلقـا أنه ساخن يحترق · ورأيى أنـه ليس ساخنا ، ولا يمكن أن يكون ساخنا · ولكننا سنذهب

ونرى ، وسـوف نكتشف بأنفسنا ، مثل « آرنى ساكنوسيم » من منا على صواب ·

فصرخت ، بعد أن اصبحت سعيدا ومنتشيا مثل عمى :

ــ سوف نرى ، أو لنقل لو استطعنا أن نرى على الاطلاق ·

ــ ولم لا ؟ ألا تتوقع العثور على ضـوء ما ؟ ان ضغط الهواء الثقيل قد يعطينا الضوء ·

ــ أجل ، هذا ممكن الى حد ما ·

فقال عمى :

ــ انه أكيد · ولكن ، تذكر ، لا تطلع أحدا على ذلك · لا تدع أحدا يحاول اكتشاف باطن الأرض قبل أن نقوم بذلك بأنفسنا ·

وبهذا انتهى حديثنـا · وجعلتنى الاثارة التى تبدو عليه أشـعر بأن رأسى يحترق ، فتركت غرفة مكتب عمى ، وخرجت من المنزل ابتغاء مزيد من الهواء

ولكن لم يوجد الهواء الكافى فى شوارع هامبورج ليبرد من فورتى ، فسرت بجانب النهر ·

هل أؤمن بامكانية الرحلة الى مركز الأرض ، ام أن كلمات البروفسير جعلتنى أتخيل هذه الامكانية ؟ هل يجب أن آخذ الموضوع بجدية ؟ هل كنت أنصت الى حديث مجنون لأحمق ، أم لحديث عاقل لرجل علم عظيم ؟ ما هى حقيقة الأمر ، ومن أين تبدأ الحقيقة ، ومن أين تنتهى ؟!

لقد آمنت بالتأكيد فى لحظة ما بأننى جاهز لتحزيم حقيبتى للاقلاع الى مركز الأرض · ولكن فى أقل من ساعة بعد ذلك ، غادرتنى هذه الاثارة غير الطبيعية ، وعادت لى شكوكى مرة أخرى ، وقلت لنفسى :

ـ انه ببساطة جنون ! انه شىء لا يعقل · ان عمى مخطىء !

وكنت أسير على طول ضـفة النهر حتى غادرت طرف المدينة متوغلا فى الحقول ، فأخذت أسير فى اتجاه مدينة الطونا ، ربما على أمل أن التقى بجروبن · وفى

الحقيقة ، لم يمر على وقت قبل أن أراهـــا وهى فى طريقها الى البيت · فناديتها ، **فقالت فى اندهاش :**

ــ أكسيل ، آه ! لقد جئت لملاقاتى ·

ولكنها عندما تطلعت الى وجهى رأت لماذا كنت قلقا ، **فسألت وهى تمد لى يدها :**

ــ ما هى الحكاية ؟

فأخبرتهـــا عندئـــذ كل ما فى الأمــر ، وكل ما يزعجنى · ولم تقل شيئا لبرهة ، بينما واصلنا السير سويا ، **وبعد ذلك قالت :**

ــ أكسيل !

فاجبت :

ــ جروبن ·

ــ انها ستكون رحلة عظيمة ·

فقفزت من مكانى ··

ــ أجل يا أكسيل ، فرحلة جديرة برجل علم عظيم لا بد أن تكون رحلة تفتخر بها · فمن حق شاب

مثلك أن يصبح مشهورا بمساعدته فى عمل مدهش من هذا النوع ٠

ــ ماذا ! جروبن ! هل تعتقدين حقا اننى يجب أن أذهب ؟

ــ أجل يا أكسيل ، بل وأحب أن أذهب معكم ، ولكن فتاة مسكينة مثلى لن تكون ذات نفع ، بل قد تكون على العكس ٠

ــ هل هذه هى الحقيقة ؟

ــ انها كل الحقيقة ٠

آه من هؤلاء النساء والفتيات الصغيرات ٠ من المستحيل فهمهن ٠٠ انهن اما أقل الناس شجاعة أو أشجعهم على الاطلاق ٠ ولا دخل للعقل معهن ٠ يا لها من فكرة ! أن تنصحنى هــــذه الطفلة أن أقوم بهذه الرحلة ٠٠ بل هى نفسها راغبة فى أن تقوم بها أيضا !

ولم أدر ماذا أقول ، ويجب أن أعترف بأننى شعرت بالخجل والاستياء بعض الشىء ، فاجبت قائلا :

واخبرت جروبن بكل شيء.

ــ جروبن · سوف نرى اذا كنت ستقولين نفس الشيء غدا ·

ــ سوف أقول غدا ، يا عزيزى أكسيل ، نفس الشيء مثل اليوم ·

وسرنا سويا ، متشابكى الأيدى دون أن نقول أى شيء · وشعرت بالتعب بسبب الأمور المثيرة التى قد حدثت ، **وأخذت أفكر :**

ــ على كل حال ، فبـداية شـهر يوليو ما زالت بعيدة ، وقد تحدث أمور كثيرة قبل هذا التاريخ ، ومن المحتمل أن يغير عمى فكرته عن رحلة تحت الأرض هذه ·

ووصلنا فى وقت متأخر من الليل الى المنزل فى شارع كونيج · وتوقعت أن أجد كل شيء هادئا مـع ذهاب عمى للنوم ، كالمعتاد ·

ولكنى نسيت نفاد صبر عمى ، فوجدته ينادى ويركض بين عدد من الرجال الذين أتوا بجميع أنواع البضائع الى المنزل · وبدا على الخادمة العجوز وكأنها فى مس من الجنون · **وعندما رآنى نادانى قائلا :**

ـ تعال يا آكسيل ! تعال فورا ! انـك شاب مزعج ، انك لم تبدأ فى تعبئة الحقائب بعد ، انك لم ترتب أوراقى ، انك لم تفعل أى شىء !

وقفت ولم أحر جوابا ··· كنت مندهشا ··· بل أكثر من مندهش ، **واخيرا قلت :**

ـ اننا ذاهبون اذن ؟

ـ أجل ، طبعا ذاهبون ! ماذا تقصد بأن تتمشى بدلا من وجودك هنا لمساعدتى فى الترتيب ؟

ـ اننا ذاهبون حقا ؟

ـ أجل ، وأقول لك : بعد غد فى الصباح المبكر !

لم أعد أريد أن أسـمع أكثـر من ذلك ··· لم أستطع تحمل المزيد ، فاندفعت الى حجرتى الصغيرة ·

ليس هناك مدعاة للشك ازاء الأمر · لقد قضى عمى طوال فترة ما بعد الظهر فى شراء الأشياء المطلوبة للرحلة · وكانت الأرض والمناضد والكراسى مغطاة بها · وكانت هذه الأشياء تحتاج لكثرتها ، لعشرة رجال على الأقل لحملها ·

وقضيت ليلة مزعجة . وفى الصباح التالى سمعت صوتا ينادينى . وعزمت على ألا أفتح الباب ، ولكنى اكتشفت أنه صوت جروبن الناعم وهى تقول :

ـ أكسيل ، أكسيل يا عزيزى !

فخرجت من حجرتى وفى مخيلتى أن جروبن ستغير رأيها عندما ترى وجهى الأبيض الشاحب المجهد وعينى الحمراوين من قلة النوم . ولكنها قالت عند رؤيتها لى :

ـ آه ! انك افضل اليوم يا عزيزى أكسيل ، كما أرى . لقد ارتحت بما فيه الكفاية .

ـ ارتحت بما فيه الكفاية ؟!

وذهبت لأتطلع الى نفسى فى المرآة ... واعترف باننى لم أبد فى حالة سيئة كما ظننت ، وقالت جروبن :

ـ أكسيل ، لقد تحدثت مع البروفسير ليدنبروك . انه رجل لا يخاف أى شىء ، ويجب عليك أن تفتخر بأنه

عمك · لقد أخبرني بكل خططه وآماله ، ولماذا وكيف يتوقع تنفيذ خطته · وسوف ينجح ، أنا متأكدة · آه يا أكسيل ، انه لشيء جميل أن يهب الانسان حياته للعلم · وسيصبح مستر ليدنبروك مشهورا جدا ، وسوف تصبح أنت مشهورا أيضا · عندما تعود يا أكسيل ، تصبح رجلا حرا فيما تقول ، حرا فيما تفعل ، سوف تصبح حرا ل ... ·

وتوقفت عند ذلك ، ولكنى فهمت ما تعنيه · وجعلتنى كلماتها أشعر بالحماس ، ولكنى حتى عندئذ لم استطع أن أتصور بأننا حقا سنذهب ·

وأخذت جروبن معى الى حجرة مكتب البروفسير ، وقلت له :

ـ عمى ، هل تقرر فعلا أننا سنذهب ؟

ـ ماذا ! هل لديك أى شك فى ذلك ؟

فقلت وانا اخشى أن أغضبه :

ـ كلا ، ولكنى أريد أن أعرف فقط ، لماذا نحن متعجلون هكذا ؟

ــ لماذا ! بسبب الوقت طبعا !

ــ ولكننا فى ٢٦ مايو فقط ، ومن الآن الى نهاية يونيو ...

ــ وهل تظن بأننا نستطيع الوصول الى أيسلنده بهذه السهولة ؟ لو لم تكن خرجت لتتمشى ، لكنت أخذتك معى الى مكتب شركة البواخر ، لتسمع بنفسك أنه لا توجد الا سفينة واحدة فقط بين كوبنهاجن (١) وريكيافيك ، وذلك فى الثانى والعشرين من كل شهر .

ــ حسنا ؟

ــ اذن ، لو انتظرنا حتى الثانى والعشرين من يونيو ، فسوف نصل الى أيسلنده متأخرين ، فلا نستطيع أن نرى ظل سكارتاريس وهو يلامس فوهة بركان سنيفيل . لذلك يجب أن نصل كوبنهاجن باسرع ما نستطيع . اذهب وجهز حقيبتك .

ولم يكن يوجد ما يقال ، لذلك ذهبت ثانية الى

---

(١) كانت الدانمرك وعاصمتها كوبنهاجن تحكم أيسلنده أيامئذ .

حجرتى فى الطابق العلوى ، وتبعتنى جروبن ، ووضعت لى كل الأشياء التى أحتاجها للرحلة . وكانت هادئة تماما ، وكأننى سأذهب الى البلدة المجاورة . وتحدثت معى بهدوء ، واعطتنى أفضل الحجج والمبررات بأن ذهابى لهذه الرحلة يعتبر من أفضل الأمور . ولم أحب ذلك على الاطلاق وشعرت بالغضب لتركى لها ، ووددت لو أخبرها بما أفكر فيه .

وأخيرا ، تم اعداد كل شىء ، ونزلت الى الطابق السفلى .

وأثنـاء النهار وصـلت للمنزل امدادات أخرى كثيرة : بنادق ، أدوات وأجهزة علمية من جميع الأنواع. ولم تفهم مارتا ما كان يجرى ، فسألت :

ـ هل جن السيد ؟

فأومأت برأسى بالايجاب .

ـ وهل سيذهب ويأخذك معه ؟

فقمت بأداء نفس الحركة .

ـ الى أين ؟

فأشرت بأصابعي تجاه منتصف الأرض ٠

ـ هل ستذهبان الى الطابق السفلي حيث المطبخ ؟

فقلت أخيرا :

ـ كلا ، أسفل من ذلك ٠

وجاء المساء ، وقال عمي :

ـ غدا صباحا ، سنرحل في الساعة السادسة ٠

وسقطت في الساعة العاشرة من ذلك المساء في فراشي وكأنني مصنوع من حجر ٠

وأخذت أحلم طوال الليل ٠ فحلمت بالبروفسير وهو يسحبني أبعد وأبعد في أعماق الأرض ٠ وكنت أسقط على جانب جبال تحت الأرض هاويا بسرعة عنيفة ٠٠ كان سقوطا طويلا وبلا نهاية ٠٠ !

الفصل الرابع

الى ريكيافيك

استيقظت فى الساعة الخامسة ، وكنت متعبا وخائفا · وذهبت الى حجرة الطعام فوجدت عمى قد سبقنى الى المائدة ، حيث كان يأكل بسرعة وبنهم · وجعلنى النظر اليه أشعر بالاعياء · ولكن جروبن كانت هناك ، فلم أقل شيئا · لم أستطع أن أقول أى شيء · وفى تمام الخامسة والنصف جاءت العربة الكبيرة الى الباب لتأخذنا الى محطة السكة الحديد · وفى الحال وضعت فيها حقائب عمى ، الذى استفسر قائلا :

ـ وأين حقيبتك ؟

فاجبت فى صوت منخفض :

ــ انها جاهزة !

ــ أسرع وأحضرها اذن ، والا سيفوتنا القطار ٠

لم أعد أستطع المعارضة ٠ فصعدت الى حجرتى ، ودحرجت حقيبتى من فوق السلالم وتبعتها ٠

كان عمى يودع جروبن وعندئذ التفتت الى وقالت :

ــ اذهب يا أكسيل العزيز ، اذهب ! ٠٠ انك تتركنى الآن ، ولكنك عندما تعود ، فستجد زوجتك٠

فوضعت ذراعى حولها وضممتها الى ، ولكنى لم أستطع أن أقول شيئا فيما عدا :

ــ وداعا يا حلوتى جروبن ٠

وأخذت مكانى فى العربة ٠ ووقفت مارتا مع جروبن عند الباب تهتفان بالوداع الأخير ، وفى اللحظة التالية كنت أنا وعمى فى طريقنا الى محطة السكة الحديد ٠

ووصلنا المحطة فى السادسة والنصف . وتم انزال جميع حقائب عمى من العربة ورقموها ووزنوها ووضعوها داخل القطار . وفى الساعة السابعة جلسنا على مقاعدنا وتحرك القطار .

كنت لازلت مفعما بالشك والتعاسة ، ولكن هواء الصباح المنعش ، ورحلة السكة الحديد أخذت ذهنى بعيدا نوعاما عن الرحلة الطويلة التى بدأناها . ونظرت من النافذة فرأيت الحقول والغابات تطير مارة بنا ونحن نشق طريقنا تجاه الدنمارك .

ولكن القطار كان بطيئا جدا بالنسبة للبروفسير ، ولعل أفكاره العجولة كانت تحاول أن تزيد من سرعته . كنا بمفردنا فى العربة ، ولكن لم يتكلم أحد منا .

وأخرج عمى كل شىء من جيوبه وحقيبته ليتأكد من أنه لم ينس شيئا .

وبعد ثلاث ساعات من بداية الرحلة توقف القطار فى كييل ملاصقا للبحر . ومن هنا كان علينا أن نذهب الى كوبنهاجن بالمركب . ولم يكن هناك حاجة لنزعج

أنفسنا بحقائبنا . فسيتم أخذها من القطار وتوضع على المركب ، وعلينا أن نستلمها فى كوبنهاجن . ولكن عمى لم يكن راضيا ، فلعل بعض الحقائب تنسى أو تضيع ! لذلك أخذ عمى يراقب كل قطعة من الأمتعة وهى تؤخذ من القطار ، وتحمل على المركب ، وتوضع فى مكانها الصحيح .

لقد رتب عمى كل شىء بشكل جيد ، لكننا وجدنا أننا سنفقد يوما كاملا هنا ، حيث أن المركب لن تقلع حتى المساء . وهكذا قضى عمى تسع ساعات فى حالة جزع لا يمكن أن تتصوره .

وأخيرا انتهت الساعات التسعة ، وفى الساعة العاشرة أخذنا أماكننا فى المركب وأقلعنا بعدها بربع ساعة .

وكان الليل مظلما ، مع هبوب ريح قوية وبحر هائج . وكان من الممكن رؤية أضواء هنا وهناك على طول الساحل . هذا كل ما أتذكره من هذا الجزء من الرحلة .

السويد والمانيا والدنمارك

وفى السابعة صباحا وصلنا كورسور ، وهى بلدة صغيرة على الجانب الشرقى من زيلاند · وهنا قفزنا الى قطار آخر حملنا فوق بلاد الدنمارك المنبسطة · وكان أمامنا ثلاث ساعات قبل أن نصل كوبنهاجن · ولم ينم عمى على الاطلاق · واعتقد حقا ، أنه كان فى جزعه هذا يحاول أن يدفع بالعربة للأمام بأقدامه · وأخيرا لمح البحر من بعيد فصرخ كالطفل قائلا :

ــ لقد وصلنا !

وكان على يسارنا مبنى كبير ضخم قال عنه أحد رفاقنا المسافرين :

ــ انه بيت المجانين ·

ففكرت فى سريرة نفسى :

ــ حسنا ، انه المكان الذى سننهى فيه أيامنا بالتأكيد ، ولكنه بكل هذه الضخامة لا زال يبدو صغيرا على جنون البروفسير ليدنبروك ·

وفى العاشرة صباحا وصلنا كوبنهاجن · وضعت الحقائب على عربة ، وذهبنا الى فندق · وأخذت منا هذه

الرحلة نصف ساعة لأن المحطة كانت خارج المدينة ٠ وبعد افطار متعجل أخذني البروفسير معه وخرجنا ٠ كان يريد أن يذهب الى قسم الجيولوجيا ٠ وتكلم موظف الفندق باللغة الألمانية واللغة الانجليزية ، ولكن البروفسير سأله بلغة دنماركية جيدة ، فرد عليه الرجل بالدنماركية وأخبره الطريق ٠

كان يرأس هذا القسم البروفسير طومسون ٠ ولما كان يعرف عمى بالاسم ، فقد استقبلنا بكل ترحاب ، وأطلعنا على كل الأشياء المهمة بالقسم ، وأجاب على جميع أسئلة عمىعن أيسلنده والجيولوجيا الخاصة بها ٠ ولم نقل ، بالطبع ، أى شيء لهذا الرجل الطيب عن الغرض من هذه الرحلة ٠

وكرس مستر طومسون نفسه تماما لمساعدتنا ٠ فذهب الى أماكن مختلفة محاولا أن يعثر على سفينة مبحرة الى أيسلنده ٠ وكنت آمل ألا يعثر على واحدة ٠ ولكنه فعل ٠٠٠ سفينة دنماركية صغيرة اسمها « فالكيرى » كانت ستقلع فى الثانى من يونيو الى

ريكيافيك · وعندما قابل عمى القبطان ، مستر بايرن صافحه بقوة شديدة جعلته يكاد يصرخ من الألم · وكان يبدو مندهشا نوعـا ما ، حيث بدا له الذهـاب الى أيسلنده شيئا غير عادى بالمرة ، بينما كان عمى يعتقد أنه شيء مدهش ، وهكذا لاحظ القبطان سعادته وتشوقه فطلب ضعف السعر العادى للرحلة ، ولكن عمى لم يبالى · **وقال القبطان بايرن وهو يأخذ النقود :**

ـ نلتقى على سـطح السفينة يوم الأحد صباحا حوالى الساعة السابعة ·

وعدنا عندئذ الى الفندق بعد أن شكرنا البروفسير طومسون على مجهوداته معنا · **وقال عمى :**

ـ انه لرائـع ! رائـع ! كم نحن محظوظون فى العثور على سفينة جاهزة للاقلاع · والآن ، فلنذهب لنلقى نظرة على البلدة ·

أعجبت بكل شيء بمتعة طفل يرى أشياء مسلية لأول مرة · ومشى عمى دون أن يلاحظ سوى برج عال

لكنيسة على الجزيرة التى تشكل الجزء الجنوبى الغربى من كوبنهاجن · وعبرنا الى الجزيرة ، وبعد أن سرنا فى عدة شوارع ضيقة ، وقفنا أمام الكنيسة · لم يكن هناك أى شىء له اهمية خاصة بها ·· ولكنها لفتت انتباه عمى ، ربما لارتفاع برجها بشكل ملفت أكثر من اللازم ، وكانت حول البرج من الخارج سلالم ترتفع من حوله الى أعلى حتى القمة · **فقال عمى :**

ـ دعنا نصعد ·

ـ ولكن ذلك سيصيبنى بدوار · اننى لا أستطيع النظر الى أسفل من الأماكن المرتفعة ·

ـ وهذا هو السبب الذى يجب أن نصعد من أجله · يجب أن نعتاد على النظر الى أسفل من الأماكن المرتفعة ·

ـ ولكن ! ···

ـ تعال ، ولا تضيع الوقت ·

وأجبرت على الانصياع · كان الرجل الذى يحتفظ

بمفتاح الكنيسة يعيش فى الجانب المقابل من الشارع . فذهبت وأخذت المفتاح منه ، وبدأنا نصعد .

صعد عمى أولا ، وتبعته وكنت خائفا جدا . وطالما كانت السلالم تسير داخل البرج كنت أصعد وأنا مطمئن تماما ، ولكن بعد ١٥٠ سلمة أحسست بالريح فى وجهى ، ووصلنا الى المكان الذى فيه السلالم من الخارج . وأخذت السلالم تزداد ضيقا وتبدو وكأنها تصل الى السماء . **فصرخت** :

ــ لن أستطيع الاستمرار !

فاجاب للبروفسير :

ــ ماذا ! هل أنت خائف ؟ تعال !

وأجبرت على الانصياع . وأحسست بالبرج يتحرك مع الريح القوية . فشعرت بعدم الثبات ، ولم أستطع الاستمرار . وكان على أن أحبو على يدى وركبتى ، وأغلقت عينى وشعرت بالدوار .

وأخيرا وصلت الى القمة ، **وقال عمى** :

ـ أنظر الى أسفل ، وانظر جيدا · يجب أن نأخذ دروسا فى النظر الى أسفل من الاماكن المرتفعة !

وفتحت عينى ، فرايت المنازل تبـــدو صغـيرة ومسطحة · وكانت السحب تتحرك من فوق رأسى ، ولكن بالنسبة لى ، كانت تبدو كأنها ساكنة لا تتحرك ، بينما كان البرج والبلدة والعالم كله يطير · وظهر على بعد الريف الأخضر في جانب ، والبحر الأزرق فى الجانب الآخر ، وعلى المدى البعيد كان ساحل السويد ·

وجعلنى عمى أقف وأنظر الى أسفل · لقد دام درسى الأول ساعة ، وعندما سمح لى اخيرا بالنزول ، ولمست قدماى أحجار الشارع شعرت كما لو أنى رجل فقد استخدام ساقيه ، **فقال عمى :**

ـ سنعيد الكرة ثانية غدا ·

وفعلنا ذلك ، ولمدة خمسة أيام ، يوما بعد يوم ، أخذنا هذا الدرس وتعلمت رغما عنى كيف أنظر الى أسفل بدون أى خوف ، وبدون أن أفقـــد احســاسى بالتوازن ·

واخيرا جاء يوم الاقلاع · وأعطانا صديقنا الطبيب بروفسير طومسون رسائل لحاكم أيسلنده ورئيس بلدية ريكيافيك ، ولذلك فقد شكره عمى بمصافحة عنيفة قوية ·

وفى الثانى من يونيو فى الساعة السادسة صباحا وضعوا حقائبنا على « فالكيرى » ، واستقبلنا القبطان ، الذى ساله عمى :

ـ كيف حال الريح ؟

فاجاب القبطان بايرن :

ـ ممتازة ! انها جنوبية شرقية ·

وبعد دقائق قليلة أبحرت السفينة عبر البحار الضيقة · وبدت كوبنهاجن بعد ذلك بساعة وكأنها تغطس تحت الأمواج · وكانت « فالكيرى » تمر بالزينور · وكدت أتوقع فى حالة تحمسى أن أرى هاملت (١) يسير قلقا فى برج القلعة ، وقلت لنفسى :

(١) هاملت : أمير الدنمارك كان أحد الشخصيات العظيمة لمسرحية شيكسبير ، والذى أصيب بالجنون فى الزينور ·

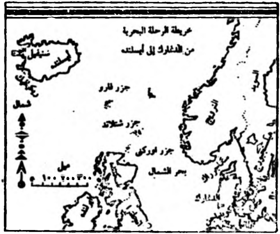

خريطة الرحلة من الدنمارك الى ايسلنده

ـ هاملت ! أيهـــا المجنون العظيم المشـــهور ! ما رأيك فى رحلتنا المجنونة ؟ ربما تحب أن تأتى معنا الى مركز الأرض وتجد هناك جوابا لحيرتك الدائمة !

ولكن لم يظهر شيء للعيان فـوق تلك الجدران العتيقة . فالقلعة ، فى حقيقة الأمر أحدث من عصر هاملت أمير الدنمارك . وتستخدم الآن كمحطة للسفن، ويمر بها ١٥٫٠٠٠ سفينة من جميع الدول كل عام .

وفى الحال ، لم تعد تظهر قلعة الزينور ، وكذلك اختفت عن عيونـنـــا بلدة هيلسنجبرج التى تقع على الساحل السويدى ، وبدأت السـفينة تسـتفيد من الرياح .

كانت « فالكيرى » سفينة جيدة ، ولكنها مهما كانت ، فهى سفينة شراعية تعتمد على الرياح . **وسأل عمى القبطان :**

ـ متى سنصل ريكيافيك ؟

ـ بعد حوالى عشرة أيام ، هذا اذا لم تلحق بنا ريح الشمال الغربى عند مرورنا بجزر فارو .

ـ ولكن ، هل تصل الى هناك عادة بعـد عشرة أيام ؟

ـ أجل يا بروفسير ليدنبروك · لا تقلق ، فسوف نصل الى هناك قريبا جدا ·

ومرت السفينة ، قبل المساء ، على سكاجين وهى أقصى نقطة فى شمال الدنمارك ، وأثناء الليل مررنا عبر سكاجيرراك ، ومنها على طول الساحل الجنوبى للنرويج ، ثم خرجنا الى بحر الشمال ·

وظهر، بعد يومين ساحل اسـكتلندا ، وأبحرنا عندئذ فى طريقنـا نحو جزر فارو ، مارين بين جزر أوركنى وشتلاند ·

وبدأت أمواج المحيط الأطلسى تلاطم سفينتنا ، وواجهنا بعض الصعوبة مع الريح · وفى الثامن من يونيو رأينا جزر فارو ، وذهبنا منذ ذلك الوقت فى اتجاه مباشر نحو كيب بورتلاند على الساحل الجنوبى من أيسلنده ·

لم يحدث أى شيء غير عادى أثناء ذلك · كنت فى

حالة جيدة ، ولكن عمى ، الذى كان يشعر بالاعياء طول الوقت ، أمضى وقته راقدا فى فراشه • ولك أن تتخيل كم كان حانقاً وخجلا • ولم أجد الرغبة فى مواساته •

وفى الحادى عشر ظهرت كيب بورتلاند للعيان • وكانت عبـارة عن تل منخفض له جـوانب شـديدة الانحدار ، ويجثم وحيدا على الشاطىء •

احتفظت « فالكيرى » بمسافة معقولة بالقرب من الساحل وشقت طريقها تجاه الغرب • وشاهدنا صخرة ضخمة ذات فتحات كثيرة تمر منها الموجات بعنف • وبعد ذلك ذهبنا يمينا حول كيب ريكيانس التى تعتبر أقصى نقطة غربا من أيسلنده •

ولم يستطع عمى ، بسبب البحر الهائج أن ينهض ليبدى اعجابه بالساحل الصخرى المتعرج ، الذى تتكسر عليه الأمواج بقوة هائلة •

وبعد ثمان وأربعين ساعة رأينا ، بعد عاصـفة هوجاء ، ضوء كيب سكاجن حيث تبرز الصخور الوعرة الخطيرة من تحت الأمواج لمسافة طويلة •

وبعد ذلك بثلاث ساعات توقفت « فالكيرى » بالقرب من بلدة ريكيافيك فنهض البروفسير-أخيرا ، بوجه شاحب وشعور بالاعياء والتعب ٠ ولكنه كان سعيدا مبتهجا وكانت عيناه تلمعان من الرضا :

وقفت مجموعة من سكان البلدة على الشـاطىء مسرورين ، لأن السفينة قد جلبت لهم أشياء كثيرة ، كانوا هم فى حاجة اليها ٠

وكان عمى ، بالطبع ، يتعجل مغادرة السفينة ، ولكنه قبل أن يفعل ذلك جذبنى جانبا ، وأشار الى الاتجاه الشمالى من الخليج ، ليرينى جبلا كبيرا له قمتان مرتفعتان يغطيهما الثلج دائما ، وصرخ قائلا :

ـ سنيفيل ! سنيفيل !

وعندئذ أخبرنى مرة ثانية ألا أقول أى شىء عن المهمة التى جئنا من أجلها الى الجزيرة ٠ وأخذ مكانه فى الزورق الذى كان ينتظرنا ، وتبعته ، وبعد دقائق قليلة لمست أقدامنا شاطىء آيسلنده ٠

وفى اللحظة التالية جاء نحونا رجل أنيق المظهر

وكان حاكم أيسلنده ، البارون ترامب نفسه ، فتعرف عليه عمى على الفور وأعطاه رسائل كوبنهاجن . وتبع ذلك حديث قصير باللغة الدانمركية ، لم أفهم منه كلمة واحدة . ونتيجة لهذا الحديث وعد الحاكم عمى أن يقدم له كل المساعدة .

واستقبلنا رئيس البلدية بكل ترحاب . وكان هناك رجل آخر فى استقبالنا ، أنه مستر فريدريكسون مدرس العلوم بمدرسة ريكيافيك وكان يتحدث باللغة الايسلندية واللاتينية فقط . واستخدم اللغة اللاتينية عندما تحدث معنا عارضا خدماته . فشعرت بالألفة معه فى الحال ، لأنه كان هو الشخص الوحيد ، فى واقع الأمر ، الذى استطعت أن أتحدث معه طوال مدة اقامتى فى أيسلنده .

كان لديه فى منزله ثلاث حجرات فقط ، فقدم لنا حجرتين ، وكان كريما معنا ، واستقربنا المقام فى هاتين الحجرتين . أما كمية الحقائب والأمتعة الكثيرة التى أحضرناها معنا فكانت مثار دهشة الناس الطيبين فى ريكيافيك ، وقال عمى :

ـ تعال يا أكسيل ، اننا قطعنا شوطا عظيما . فلقد انتهى الجزء السيء من مهمتنا .

فصرخت قائلا :

ـ ماذا تقصد ؟

ـ كل ما علينا أن نقوم به هو الهبوط .

ـ أوه ، اذا فكرت فيها بهذه الطريقة ، فأنت على صواب ، ولكننا لا بد أن نصعد أيضا كما نهبط .

ـ أوه ، ان هذا لا يزعجنى على الاطلاق . تعال ، ولا تضيع الوقت . اننى ذاهب الى المكتبة . ربما أجد شيئا عن « ساكنوسيم » .. فأنا تواق لأن أقرأ له أو عنه .

ـ وسأذهب أنا ، وأثناء وجودك هناك ، لأرى البلدة . ألا تفعل ذلك أيضا ؟

ـ كلا ، فانى لا أهتم بذلك على الاطلاق . فالجزء المثير فى أيسلنده ليس ما هو فوقها بل ما هو أسفلها .

وخرجت وتجولت ، ولعله من الصعب أن يضيع الانسان طريقه فى ريكيافيك ، حيث لا يوجد بها الا

شارعان فقط ، لذا لم أكن فى حاجة لأن أسأل أحدا عن الطريق .

تقع البـــلدة بين تلين على أرضية تكاد تكون منبسطة ورخوة تنحدر من جانب حوض من اللافا (١) متجهة نحـو البحر ، ويوجد فى الجـانب الآخر خليج فاكسا العريض . وكنت أستطيع رؤية « فالكيرى » فى هذا الخليج . ويمتد الشارع الطويل فى نفس اتجاه الشاطىء . ويعيش فى البيوت الخشبية من هذا الشارع رجال الأعمال . أما الشارع الآخر ، فيتجه أكثر ناحية الغرب وينحدر فى اتجاه بحيرة صغيرة .

وشققت طريقى ، فى الحال ، عبر هذين الشارعين الرماديين الكئيبين ، ملاقيا هنا وهناك عشبا بنيا قصيرا أو أحيانا حديقة فقيرة المنظر .

ورأيت المدرسة على التل فى مكان ليس بعيدا ، حيث قيل لى فيما بعد أنهم يدرسون فيهـا اللغـات الدنماركية ، والانجليزية والفرنسية ، ثـلاث لغـات

---

(١) الحمم البركانية .

يؤسفنى أن اقول ، أننى لا أعرف أن أتكلم أية واحدة منها ٠

وفى خلال ثلاث ساعات قمت باستكشاف البلدة وما يحيطها من الريف ٠ وبدت لى مكانا تعيسا ، فلا أشجار ولا حتى أعشاب الا القليل ، مع وجود الصخور البركانية فى كل مكان ٠

وقابلت أثناء سيرى قليلا من الناس ٠ وشاهدت، فى طريق عودتى عبر الشارع التجارى معظم سكان البلدة يجففون السمك ويحفظونه٠ وكان الرجال يبدون أصحاء الأبدان ، ولكنهم ثقال يشبهون الألمان الى حد ما ، مع شعر أشقر فاتح ٠ وشعرت بالأسف لهم ، كانوا يبدون لى بعيدين جدا عن العالم ، يعيشون فى أرض الجليد هذه ٠ وكانوا أحيانا ما يصدرون نوعا من الضحك الفجائى ، ولكنهم لم يبتسموا على الاطلاق ٠ وكانت للنساء وجوه سارة ، ولكنهن لا يظهرن أى شعور بالسعادة ٠

وعندما قفلت راجعا الى المنزل بعد تجوالى ، وجدت عمى هناك مع مستر فريدريكسون ٠٠

الفصل الخامس

الاستعدادات

كان الغداء جاهزا ، ولما كان البروفسير ليدنبروك لم يأكل الا القليل طول الأيام الماضية ، فلك أن تتخيل كم أكل ، وظننت أنه لن يتوقف عن الأكل ، كان الغداء دنماركيا أكثر منه أيسلنديا ، ولكن مستر فريدريكسون كان أيسلنديا • وكان من الواضح أنه ينظر الى المنزل على أنه منزلنا لا منزله أثناء بقائنا معه•

وكان الحديث ، عموما ، بلغة البلد ، رغم أن عمي كان يستخدم أحيانا قليلا من اللغة الالمانية ، ويستخدم مستر فريدريكسون قليلا من اللغة اللاتينية،

حتى أستطيع أن أفهم شيئا مما يقولانه ، كانا يتحدثان عن موضوعات علمية ٠٠وبصفة خاصة فى الجيولوجيا٠ ولكن البروفسير ليدنبروك كان حريصا جدا فيمـــا يقوله ، وظل يحذرنى أن أكون حريصا حتى لا أشير الى خططنا ٠

وكان أول سؤال يسأله مســـتر فريدريكسون لعمى هو اذا كان عثـــر على أية كتب ذات أهميـة بالمكتبة !

فقال عمى :

ـ المكتبة ! أجـــل ، لقد رأيت بعض الكتب ، ولكنها كتب غير مهمة ٠ كيف يمـكن لكم أن تحتفظوا بمثل هذه المكتبة الفقيرة ؟!

فقال مستر فريدريكسون :

ـ ومع ذلك فلدينـا ٨ر٠٠٠ كتاب معظمها قيم ونادر ، وبجانب الكتب المؤلفة باللغـــة الأيسلنـدية القديمة ، فلدينا جميع الكتب الجديدة التى ترسلهـا لنا كوبنهاجن ٠

ـ وأين الثمانية آلاف كتاب هذه ؟

ـ انها فى كل أنحاء البلد ٠ اننـا فى جزيرتنا القديمة هذه نحب أن ندرس ٠ فلن تجد هنـا أحدا لايستطيع أن يقرأ ٠ فنحن نعتقد أنه من الأفضل أن تهترىء الكتب من الاستعمال عن أن نحتفظ بهـا فى حجرة ، حيث لايستطيع أحد الحصـول عليها ٠٠ ولذلك تجد هذه الكتب متداولة بحرية من شـخص لآخر ، فيقرأها الناس مرات كثيرة وغالبا ما تعود هنا بعد عام أو اثنين ٠

فقال عمى باستياء :

ـ وما وضع الغرباء ؟ ٠٠

فقال مستر فريدريكسون :

ـ أن للغرباء مكتباتهم فى بلادهم ، وهمنا الأول هو أن نساعد قومنا على الدراسة ٠ وأحب أن أقول أن حب الدراسة هو فى الدم الأيسلندى ٠ والآن ، اذا أخبرتنى ما هى الكتب التى كنت تتوقع العثور عليها، فقد أستطيع ان أساعدك ٠

ونظرت الى عمى · كان عليه أن يجيب حيث أن هذا موضوع له أهميته بالنســبة لخطته ، **فقال بعد تفكير :**

ــ مستر فريدريكسون ، اننى أريد أن أعرف اذا كانت توجد أية كتــابات « لآرنى ســاكنوسيم » بين الأوراق القديمة ·

فأجاب المدرس :

ــ « آرنى ساكنوسيم » ! أنت تقصـد رجل العلم الذى عاش من ثلاثمــائة ســــنة ، وكان مهتما بالعلوم ومحبا للترحال والسفر ·

ــ أجــل ·

ــ انه أحد رجال هذه الجزيرة العظام ·

ــ بالضبط ·

ــ انه ذائع الصيت فى كل البلاد ·

ــ تمــام !

ــ كان شجاعا كما كان عالما ·

ــ آه ، أراك تعرف كل شىء عنه ·

وابتسم عمى على الطريقة التى تحدث بها مستر فريدريكسون عن الرجل الذى يعجب به كثيرا ، وانصت لكل كلمة بانتباه عظيم . **وقال أخيرا :**

ـ حسنا ، وماذا عن كتبه ؟

ـ آه ! كتبه ، ليس لدينا أى كتاب له .

ـ ماذا ! ألا يوجد أى كتاب له فى كل أيسلنده؟

ـ انها لاتوجـد فى أيسلنـده ولا فى أى مكان آخـــر .

ـ ولماذا ؟

ـ لأن « آرنى ساكنوســـيم » اعتبـروه عدوا للكنيسة ، ولذلك أحرقوا كل كتبه فى كوبنهاجن .

فصرخ عمى بشكل ادهش المدرس وقال :

ـ عظيم جدا ! رائع !

فصرخ قائلا :

ـ ماذا ؟

فاستطرد عمى قائلا :

ـ أجل ، لقد فهمت الآن ، وأصبح كل شيء واضحا ، أستطيع أن أدرك كيف كان « ساكنوسيم » مضطرا لاخفاء سره في شفرة ٠

فسأل مستر فريدريكسون بحدة :

ـ أي سر ؟

ـ السر الذى ٠٠٠ الذى ٠٠٠ أنه ٠٠٠

ـ هل عثرت على ورقة سرية ؟

ـ كلا ، كلا ٠ انني كنت أفترض فقط ٠

فقال مستر فريدريكسون :

ـ أوه ، فهمت ٠

وعندما لاحظ اضطراب عمى وارتباكه غير مجرى الحديث **وقال :**

ـ آمل ألا تغادر الجزيرة بدون عمل دراسة جيولوجية لها ٠

ـ بالتأكيد ، ولكنني أخشى أنني جئت متأخرا

لعمل أى اكتشاف جديد · فلابد أن رجـال العلم قد زاروا الجزيرة أكثر من مرة ·

ـ أجـل ، يا مستر ليدنبروك · لقد جـاء الكثيرون ، ولكن ، صـدقنى ، مازال يوجد الكثير لعمله ·

فقال عمى ، محاولا ان يبدو انه ليس مهتما :

ـ هل تعتقد ذلك ؟

ـ أجل · فكم توجد من جبـال وبراكين كثيرة لايعرف عنها الا القليل ! خذ مثلا هذا الجبل الذى تراه هناك ، انه سنيفيل ·

فأجاب عمى :

ـ آه ، حقيقى ؟ هل هذا هو سنيفيل ؟

ـ أجل ، انه من أهم البراكين وقليل من الناس الذين هبطوا فى فوهته ·

ـ انه لم يعد نشطا ، أليس كذلك ؟

ـ أجل ، انه لم يعد نشطا منذ خمسمائة عام ٠

كنت على يقين ، من أن عمى كان يريد أن يقفز فى الهواء من الفرحة ، ولكنه قام بمجهود عظيم لاخفاء شعوره ، فقال :

ـ حسن اذن ، أود أن أبدأ بالذهاب لدراسة هذه الفوهة ٠ ماذا قلت عن اسم هذا الجبل ؟

كان هذا الجزء من الحديث باللغة اللاتينية ، ففهمت كل كلمة منه ٠ وكنت أمنع نفسى عن الضحك بصعوبة وأنا أرى عمى يحاول أن يخفى رضاه ٠ لم يكن يدرى ما يفعله حتى لا يظهر مدى سروره ، وقال :

ـ أجل ، لقد جعلتنى ما ذكرته لى أن أقرر الذهاب الى سنيفيل ، وأصعده ، وربما أدرس حتى فوهته ٠

فقال مستر فريدريكسون :

ـ اننى آسف جدا ، لأننى لن أستطيع أن

أذهب معك · فلدى عملى ، كما ترى ، ولا أستطيع أن أتركه ·

فاجاب عمى بسرعة :

ـ أوه ، كلا ، كلا ، اننـا لانحب أن نزعجك يا مستر فريدريكسون · أننى أشـكرك جدا · فقد غمرتنا بكرمك وكنت ستصبح عونا لنا ، بكل تأكيد ، ولكن عملك ، طبعا ··

لقد سرنى أن مستر فريدريكسون ، بطبيعتـه البسيطة ، لم يلاحظ مجهودات عمى فى اخفاء سره · وقال :

ـ ان خطتك فى البدء بسنيفيل لشىء طيب · فسوف تجد كثيرا من الأشياء المثيرة هنـاك · ولكن قل لى ، كيف تنوى الوصول الى هناك ؟

ـ بالبحر ، فأسرع طريقـة هى الذهاب عبر الخليج ·

ـ لاشك فى ذلك ، ولكن من المستحيل القيام بذلك ٠

ـ لماذا ؟

ـ لأنه لاتوجد مراكب فى الوقت الحالى فى ريكيافيك ٠ فكل المراكب موجودة فى الجانب الآخر من الجزيرة ، حيث يقوم الرجال بصيد الأسماك ٠

ـ يا للأسف !

ـ لابد أن تذهب برا ٠٠ مع الاحتفاظ بمحاذاة الشاطىء ٠٠ انه طريق طويل ، ولكنه مسل وممتع ٠

ـ حسن جدا ، فلابد لى اذن من العثور على مرشد ليدلنا على الطريق ٠

ـ اننى أعرف واحدا يناسبك ، على ما أعتقد ٠

ـ رجل طيب ، يمكن أن نثق فيه ؟!

ـ أجل ، انه يعيش بالقرب من هنا ٠ انه رجل حاذق جدا ، وأنى على يقين أنه سيرضيك ٠ أنه يتحدث اللغة الدنماركية بطلاقة ٠

ـ ومتى أستطيع أن أراه ؟
ـ غدا اذا أحببت ٠
ـ ولم لا أراه اليوم ؟
ـ لأنه لن يكون هنا قبل الغد

فقال عمى :

ـ حسن ، فليكن غدا اذن ٠

وانتهى هذا الحديث الهام بعد ذلك بقليل . غندما شكر عمى المدرس الأيسلندى باخلاص لعطفه العظيم ٠ لقد استفاد عمى الكثير أثناء الغداء ٠ لقد عرف تاريخ « ساكنوسيم » ، وسبب الشفرة ، وأن مستر فريدريكسون لا يستطيع أن يأتى معنا ٠ وأنه فى اليوم التالى سيكون هناك مرشد مستعد أن يفعل ما نريده منه ٠

وفى المساء ذهبت فى جولة قصيرة على طول الشاطىء ، وعدت منها مبكرا ٠ ثم توجهت الى حجرتى ونمت فى الحال فى سريرى الكبير ٠

وعندما استيقظت فى الصباح سمعت عمى يتكلم فى الحجـرة التاليـة • فنهضت فى الحال وأسرعت لالحق به • كان يتكلم باللغة الدنماركية مع رجل طويل جدا له بنية قوية متينـة • كان لهذا الرجـل رأس كبير جدا ووجه صبوح مبتسم • كان يبدو عليه أنه حاذق فى تكفيره وفى طريقة التعبير بيديه • وكانت عيناه ذاتى لون أزرق فاتح ، وكان شعره طويلا أحمر اللون تقريبـا ويسقط على كتفيه •• وكانت حركاته سهلة وطبيعية ، بالرغم من أنه لم يحرك يديه ولا ذراعيه عندما كان يتكلم ، وكل شىء يصدر منه كان يوحى بالهدوء • وكان يبدو كأنه لا يمكن أن يقلقه أى شىء ، أو حتى يدهشه أى شىء •

استطعت أن أرى ذلك من الطريقة التى ينصت بها الايسلندى الى سيل الكلمات التى كانت تتفجـر من فم عمى ••• كان يقف ساكنا لايتحرك ، بينما كان عمى يشوح بذراعيه • وكان يحرك رأسه من أعلى الى أسفل ، اذا أراد أن يقول نعم ، وكان يحرك رأسه من اليسار الى اليمين ، اذا أراد أن يقول لا • ولكنه

كان يحرك رأسه ببطء وهدوء شديدين ، حتي شعره الطويل كان لايكاد يتحرك ٠

كان اسمه هانز بيلكى ، ولقد أحضره لنا مستر فريدريكسون لكى يكون مرشدنا ٠٠ ولم أكن أستطيع أن أتخيل أى أحد أكثر منه اختـــلافا عن عمى ، فى مظهره ، أو فى سلوكه ٠

وفهم كل منهما الآخـــر فورا ٠ فكلاهما كان لايهتم كثيرا بموضوع الأجر ٠ فواحد مســـتعد لأخذ ما يقدم له ، والآخر مستعد لاعطـاء ما يطلب منه ٠ وهكذا كان الاتفاق سهلا بسيطا ٠

وكانت نتيجة الاتفاق أن يأخذنا هانز الى قرية ستابى فى الجانب الجنوبى من ســـفح سنيفيل ٠ وكانت المسافة برا لاتزيد عن اثنين وعشرين ميلا ، وقرر عمى أنها رحلة تستغرق يومين ٠ ولكنه اضطر أن يغير خطته عندما اكتشف أن الميل الدنماركى فيه ٢٤٫٠٠٠ قدم ، هذا ومع سوء حالة الطرق سيستغرق نحو سبعة أو ثمانية أيام ٠

وحصلنا على أربعة جياد ، اثنين لحملي أنا وعمي واثنين للامتعة ، أما هانز فسيمشي ـ حيث أنه معتاد على ذلك . كان يعرف هذا الجزء من الساحل تماما ، ووعدنا أن يأخذنا من أقصر طريق .

كان ما زال أمامنا ثمان واربعون ساعة قبل يظل في خدمته خلال رحلتنا كلها . ولكن مرشدنا وضع شرطا بأن تدفع له نقوده بانتظام مساء كل يوم سبت .

ونوينا أن نبدأ في السادس عشر من يونيو . ورغب عمي في ان يعطى هانز بعض نقوده في البداية ولكن الرجل رفض قائلا :

ـ فيما بعد .

وقال البروفسير عندما تركنا هانز :

ـ انه لرجل طيب ، ولكن ليس لديه فكرة عن الشيء المدهش الذى سيفعله في المستقبل .

ـ هل سيذهب معنا ، اذن داخل ..

ـ أجـل يا آكسـيل داخـل الفوهة الى مركز الأرض ٠

كان مازال أمامنا ثمان وأربعـون ساعة قبـل البداية ، ولكن كان لابد أن نقضيها كلها فى الاستعداد ٠٠ كان علينا أن نجد أفضل طريقة لحمل كل ما لدينا من أمتعة ، الأجهزة فى هذا الجانب والبنـادق فى الجانب الآخر ، الأدوات فى هذه الحقيبة والطعام فى الأخرى ، وبذلك قسمت الأشياء الى أربع مجموعات ٠

وكان من بين هذه الأجهزة ما يلى :

١ ـ ترمومتر لقياس درجة الحـرارة الى ١٥٠ درجة ، الذى بدا لى كثيرا جدا أو قليلا جدا ٠ كثيرا جدا اذا ارتفعت حرارة الهواء الى تلك الدرجة ، والتى معناها أننا سنكون قد انشوينا ، وغير كافية اذا أردنا قياس حرارة الماء المغلى أو السوائل الأخرى ٠

٢ ـ جهاز بارومتر خاص ، صنع لاظهار ضغط هواء أعظم من تلك الموجودة على سطح الأرض أو أعلى

منها ، فجهاز البارومتر العادى لايصلح ، لأننا كلما نزلنا فى الأرض سيصبح ضغط الهواء أعظم وأعظم .

٣ ـ الكرونومتر لقياس الزمن بدقة بالغة طبقا لموقع مدينة هامبورج .

٤ ـ بوصلتان .

٥ ـ مصباحان يشعان بضوئهما الكهربائى ذاتيا ، وميزتهما أنهما أكثر أمانا ، وقليلا الوزن ، وسهلا الحمل .

وهذا بالاضافة الى بندقيتين . ولا أدرى لماذا

أخذناهما . فليس هناك أعداء ولا حيوانات متوحشة ، على ما أعتقد ، لنخشى منها .

وكان من بين الأدوات معولين ، وسلم من حبل حريرى ، وثلاث عصى برؤوس حديدية ، وفأس ، ومطرقة ، وحبال طويلة . وكون كل ذلك حملا ثقيلا وكبيرا ، لأن السلم وحده كان ثلاثمائة قدم طولا .

الأدوات التى اخذناها معنا

وكان هناك بعد ذلك الطعام ، الذى كان معظمه فى شكل مساحيق ، ولحم مضغوط · لم يكن يحتل حيزا كبيرا ، ولكن كان يوجد منه ما يكفى لستة شهور · وأخذنا معنا زجاجات مياه ، ولكن بدون مياه ، لأن عمى كان واثقا من ملء هذه الزجاجات من الينابيع التى سنجدها تحت الأرض ·

لم يكن هذا كل شيء · فكان معنا ماكينات ، وجميع أنواع الأجهزة التى يستخدمها الأطباء ، والأشياء التى قد تكون مفيدة فى حالة الحوادث والجروح ، وكسور العظام ·

ولا أستطيع هنا وصف جميع الأشياء الاخرى ، التى أخذناها معنا · يكفى أن أقول أن عمى لم ينس شيئا تقريبا · بل أخذ معه نقودا أيضا ! وبكمية كبيرة · هل كان يتوقع وجود محلات فى مركز الأرض ؟

وقال عمى :

ـ يمكننا أن نتوغل كما نشاء بكل هذه الأشياء التى معنا ·

ومر الرابع عشر من يونيو ونحن نرتب كل حاجياتنا . وفى المساء تناولنا الطعام مع الحاكم ورئيس البلدية وآخرين . ولم يكن مستر فريدريكسون ، مع الأسف ، معنا . وسمعت فيما بعد ، أنه يختلف فى آرائه مع الحاكم ازاء بعض الموضوعات الحكومية الخاصة بالجزيرة ، ولذلك فهما لايتحدثان سويا . ولما كان هذا شيئا يحدث عادة فى دول أخرى ، فلم أندهش . ولم أستطع أن أفهم أية كلمة مما قيل فى هذه المناسبة ، لأن مستر فريدريكسون لم يكن موجودا . وكل مالاحظته أن عمى كان يتكلم معظم الوقت .

وفى اليوم التالى ، الخامس عشر ، كنا على أهبة الاستعداد ، وقدم مستر فريدريكسون لعمى أعظم متعة ، باعطائه خريطة مكتملة لايسلنده كهدية . ومرت الليلة الأخيرة فى حديث جاء مع مستر فريدريكسون ، الذى أصبحت أعجب به جدا . وأعقب ذلك ليلة كلها أرق بالنسبة لى .

وفى الخامسة صباحا سمعت الجياد الأربعة تحت نافذتى . فنهضت فى الحال ، ونزلت . فوجدت هانز قد انتهى لتوه من تحميل الأشياء على ظهور الجياد ، وذلك بجهد بسيط ، ومهارة فائقة . بينما كان عمى يحدث جلبة كبيرة دون أن يقدم مساعدة تذكر ، وبدا على هانز أنه لم يلحظ ما كان يتفوه به عمى على الاطلاق .

وفى الساعة السادسة كنا فى تمام استعدادنا ، فصافحنا مستر فريدريكسون ، وشكره عمى مرة أخرى لما قام به نحونا ، وشكرته أنا كذلك بكل ما أستطيعه باللغة اللاتينية ، ورد على مستر فريدريسكون بلغة لاتينية افضل . ثم أقلعنا ..

كانت السماء ملبدة بالغيوم ، ولكن الطقس لم يكن حارا ولا باردا ، كان أفضل طقس للقيام بالرحلات .

واخذت متعة الذهاب عبر الجزيرة المجهولة عقلى،

وحلقت به بعيدا عن الأفكار الكئيبة ، لما كان سيأتى فيما بعد . وسألت نفسى :

ـ ما الخطر فى الأمر ، بعد ذلك ؟ ان علينا أن نسير عبر أغرب البلاد فى العالم ، وعلينا أن نتسلق جبلا ممتعا جدا ، وحتى على أسوأ الفروض اذا حدث ونزلنا الى قاع فوهة البركان القديم ، فمن الجلى تماما أن كل هذا قد فعله قبلنا « ساكنوسيم » ، الذى اعتقد عندما كان فى قاع فوهة البركان أنه فى مركز الأرض. بينما وجود أى ممر حقيقى لمركز الأرض الحقيقى ما هو الا محض خيال ، ولا شىء أكثر من ذلك . انها استحالة ، لذلك سأمتع نفسى بكل ما أستطيع من هذا العمل ، ولا أشغل بالى بأى شىء آخر .

وعندما وصلت لهذا القرار ، كنا قد تركنا ريكيافيك بعيدا وراءنا . وكان هانز يسير أمامنا ، ويسير مسرعا ، يليه الجوادان المحملان بالأمتعة ، وفى الخلف أنا وعمى .

وبعد أن تركنا ريكيافيك ، استمر هانز محاذاة

الساحل . وسرنا عبر حقول كانت تحاول كل ما فى وسعها لتبدو خضراء ومع ذلك لم تنجح مطلقا فى أن تبدو سوى صفراء . وشاهدنا جبـــالا بعيدة مغطاة بالثلج . وكانت قمم بعض الجبال تنفذ عبر السحب وتظهر كجزر فى السماء .

ولم يكن طريقنا مستقيما ، فأحيانا كانت التلال الصخرية تبرز من البحر فيلتوى الطريق من حولها . ولكن كان هناك دائمـا حيز للمرور . وكانت جيادنا تعرف أفضل الطرق . كانت تتحرك بشكل جيد وسريع حتى أن عمى لم يثر أو يفقد صبره على الاطـــلاق . وابتسمت لأرى رجلا كبيرا مثله على مثل هذا الحصان الصغير . وكانت ساقاه الطويلتـــان تكادان تلمسان الأرض . **وقال :**

ـ حصان طيب ! سوف ترى يا أكسيل ، أنه لايوجد حيوان أفضل من الحصان الأيسلندى . فلا شىء يوقفه ، لا الثلج ، ولا العواصف ، ولا الطرق السيئة. انه شجاع ، ويستمر فى السـير طول الوقت . انه

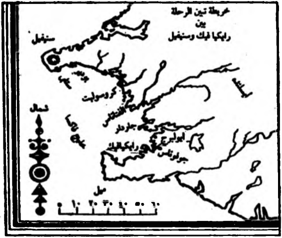

خريطة للطريق بين ريكيافيك وسنيفيل

لايخطو خطوة خطأ · اذا كان علينا أن نعبر نهرا ــ وتأكد أننا يمكننا عبوره ــ فسوف تراه يخوض فى الماء وكان الماء أو الأرض نفس الشىء بالنسبة له · ولكننا يجب ألا نعامله بخشونة ، ويجب أن ندعه يسير طريقه هو ، وسوف نقطع ثلاثين ميلا فى اليوم ·

ــ أجل ، كل شىء على ما يرام بالنسبة لنا ، ولكن ماذا عن مرشدنا ؟

ــ أوه ، انه سيكون على مايرام ، أيضا ، فمثله من الرجال يقطعون الأرض سيرا على الاقدام دون أن يلاحظوها · انه لن يكل ولن يتعب ، واذا تعب ، فيمكنه أن يأخذ حصانى · اذا كان يستطيع المشى ، فأنا أستطيع المشى أيضا ·

كنا نتقدم فى سيرنا بشكل جيد ، وبدت الأراضى منعزلة جدا · كانت منبسطة ومغطاة بالأحجار · واستطعنا أن نرى فى بعض الأماكن منزلا فقير الشكل مبنيا من الخشب والحجر ·

الفصل السادس

سنيفيل

وبعد ساعتين من مغادرتنا لريكيافيك ، وصلنـا قرية صغيرة تدعى جوفوناس ، ولم يكن فيها أى متعة على الاطلاق .

توقف هانز هناك لمدة نصف ساعة ، وتنـاول افطاره معنا ، وكان يقول « نعم » أو « لا » لكل أسئلة عمى ، فيما عدا عندما سئل أين سنقضى الليـــل ، فلقد اجاب :

ـ جاردار ··

وتطلعت الى الخريطة لأرى أين تكون جـاردار فوجدت بلدة صغيرة بهذا الاسم بجانب نهر يبعد أربعة أميال (دنماركية) عن ريكيافيك · فبينتها لعمى على الخريطة فقال :

ـ أربعة أميـال فقط ! أربعة أميـال من اثنين وعشرين ميلا ! لابأس ·

وبدأ يتحدث عن ذلك مع المرشد ، لكنه لم يبد أى انتباه لما يقوله عمى ، واستمر مرة أخـــرى فى السير · فما كان علينا الا أن نتبعه ·

وبعـد ثلاث ســاعات ، مررنا عبر قرية تدعى أيولبرج · واذا كانت هناك أية ساعة لكانت تبين لنا الساعة الثانية عشر ، ولكن الكنائس الأيسلندية لم تكن غنية لتضع ساعات فى أبراجها ·

وهنا أعطينا جيادنا شيئا تأكله ·· وتبعنا بعد ذلك مرشدنا فى طريق ضيق بين التلال والبحر ·

وفى الساعة الرابعة كنا قد قطعنا أربعة أميال دنماركية ، وهى تساوى عشرين ميلا انجليزيا · وهنا توقفنــا عند ذراع للبحر متوغل فى الأرض لمســـافة طويلة ·

كان اتساعه نصف ميل · وكانت الأمواج تتكسر بجلبة عالية على الصخور الحادة · وكان على كل جانب منه جدران من الصخور فى ارتفاع ٢٠٠٠ قدم · من المؤكد أن جيادنا جيــاد جيــدة ولكنى لــم أدر كيف يمكن لها أن تعبر هذا ·

وفكرت فى نفسى :

ـ اذا كانوا أذكياء ، كما تقول الناس عنهم ، فلن يحاولوا العبور ·

ولكن عمى لن ينتظر وســـار الى حافة الماء · وحاول عمى أن يجعل الحصان يستمر · ولكن الحصان أبى أن يستمر · وغضب عمى وضرب الحصـــان · وحاول الحصان أن يلقى عمى من على ظهره · وفى

النهاية انحنى الحصان الصغير بركبتيه وسار من بين ساقي البروفسير وتركه واقفا على الأرض !

كان عمي مندهشا وحانقا . ثم لمسه هانز **وقال :**

ـ « فارجا » .

ـ ماذا ؟ زورق ؟

فاجاب هانز مشيرا الى زورق :

ـ « دير ! » .

وقلت :

ـ نعم ، هناك ، انى أرى زورقا هناك .

ـ لماذا لم تقل هذا من قبل اذن ؟ حسنا ، فلنذهب ونأت به .

فقال المرشد :

ـ « تيدفاتين » !

فقلت :

ـ ماذا يقول ؟

فقال عمى :

ـ المد · يقصد أننا يجب أن ننتظر مجىء المد ·

وكان علينا الانتظار حتى الساعة السادسة مساء ثم أخذنا أماكننا فى الزورق · أنا وعمى والمرشد والرجلان اللذان يعملان بالزورق · واستغرق العبور أكثر من ساعة ، ولكننا عبرنا بأمان ·

وبعد ذلك بنصف ساعة ، وصلنا الى قرية جاردار · وكان من المفروض أن تكون غارقة فى ظلام حالك لأننا كنا فى المساء ، ولكن فى أيسلنده تظل الشمس فى شهرى يونيو ويوليو ظاهرة فى السماء ليل نهار · ولكن القطس كان باردا جدا ، وكنت جائعا جدا ·

ووجد هانز فورا مكانا نستطيع أن نقضى فيه الليل · كان كوخا بدائيا ليس الا ، ولكن ما أهمية ذلك ؟ فقد كان دافئا ، وفيه مكان يأوينا وطعام يكفينا ·

وخرج سيد المنزل للقائنا ، وطلب منا أن نتبعه· وفعلنا ، فسرنا فى ممر ضيق مظلم طويل ، وتفتح

جميع الحجرات على هذا الممر · وكانت أربع حجرات وهي : المطبخ ، وحجرة العمل ، حجرة نوم الأسرة ، وافضلها جميعا حجرة الضيوف · واخذنا في الحال الى هذه الحجرة · كان بها أربعة أسرة وما يشبه الصندوقين ، مدهونين باللون الأحمر ومملوءين بالعشب الجاف · لم أكن أتوقع مثل هذه الراحة · وكان الشيء الوحيد الذى لم يعجبنى هو الرائحة الكريهة للسمك المجفف · وعندما خلعنا ملابس السفر ، سمعنا سيد المنزل يدعونا الى المطبخ ، الحجرة الوحيدة التى كان بها مدفأة ، حتى فى أبرد الأوقات ·

ذهب عمى أولا ، ثم تبعته · وكان مكان مدفأة المطبخ على الأرض فى وسطه ، ومن فوقهـا فتحة فى سقف الحجرة ليخرج منها الدخان · وكان المطبخ هو حجرة الطعام فى نفس الوقت ·

وعندما دخلنا استقبلنا الزوج والزوجة بترحاب حار · وكل منهما قال كلمة « سالفيرتو » التى تعنى

« كن سعيدا ! » ، وبعدها وضع كل منهما يده اليمنى على قلبه وانحنى ·

وكانت هذه المرأة الأيسلندية أما لتسعة عشر طفلا ، كبيرا وصغيرا ، يجرون حولنا فى الحجرة · وفى كل لحظة كان يطل رأس صغير بوجه كئيب من بين سحب الدخان التى كانت تملأ الحجرة ·

وبعد قليل كان لى ولعمى ثلاثة أو أربعة أطفال ، يجلسون على أكتافنا أو ركبنا · وكان كل من يستطيع الكلام منهم يقول لنا « سالفيرتو » ، أما الذين لايقدرون على الكلام فكانوا يصدرون صرخات عالية ·· ربما تعنى نفس الشىء ·

وبعد فترة قصيرة دخل هانز · لقد كان فى الخارج ليطمئن على اطعام الجياد ، وهذا ما فعله بأن أطلقهم فى الحقول ليجدوا بأنفسهم ما يستطيعون أكله. وقال هانز وهو يصافح الزوج والزوجة وجميع الأطفال التسعة عشرة :

ـ « سالفيرتو ! » .

وعندما تم ذلك ، جلسنا الى المائدة ، وكان عددنا اربعا وعشرين ، وهكذا لم يكن هناك متسع، فكان لدى كل منا طفلان على الأقل فوق ركبتيه .

وعندما انتهينا من الاكل خرج الأطفال من المطبخ وجلسنا نحن حول المدفأة نتحدث ، ولم أفهم بالطبع أية كلمة مما قيل .

وفيما بعد استعددنا للنـــوم ، وعرضت المرأة الطيبة أن تخلع لنا ملابسنا ، فمن المعتاد فى أيسلنده أن تخلع سيدة المنزل ملابس الزوار ، وبعد أن رفضنا بأدب تركتنا ، واستطعت أخيرا أن أنام على فراش من العشب .

وفى الخامسة من صباح اليوم التالى ودعنـــا هؤلاء الناس الطيبون . وقبلوا منا النقود مقابل المبيت والطعام بعد صعوبة بالغة .

وبدأنا ...

وبعد حوالى مائة خطوة من جاردار بدأت الأرض تبدو مختلفة . أصبحت رخوة ومبتلة ، وشكلت لنا صعوبة أكثر فى المسير . وكانت الجبال التى على يميننا تزداد ارتفاعا وتستمر هكذا الى مسافات بعيدة . وغالبا ماكنا نمر بمجرى ماء فكان علينا أن نعبره بحرص شديد حتى لا تبتل أمتعتنا .

ومع استمرارنا فى المسير ازدادت الأراضى وحشة وعزلة . ولم يعد يوجد مزيد من العشب ولا أى نوع من الشجر ، ولا حيوانات ، ماعدا قليل من الجياد تحاول العثور على شىء تأكله وكنا نرى أحيانا بعض الطيور الكبيرة تطير مسرعة فى اتجاه الجنوب .

وبعد قليل كان علينا أن نعبر عددا من الأنهار غير الهامة ، ثم عبرنا ذراعا واسعا من البحر . كان المد منخفضا حينئذ فخضناه بسهولة ووصلنا قرية الفتاناس بعد ذلك بحوالى ميل دنماركى واحد فقط .

وفى المساء وبعد أن عبرنا نهرين آخرين ، كان علينا أن نقضى الليل فى كوخ خال .

ولم يحدث أى شىء غير عادى فى اليوم التالى ٠ وكانت الأرض لاتزال رخوة مبتلة ، مع نفس الاحساس بالوحشة والعزلة ، ونفس اللون الرمادى الكئيب ٠ وعند المساء كنا قد انتهينا من نصف رحلتنا وقضينا الليل فى كروسولبت ٠

وفى التاسع عشر من يونيو سرنا لمســافة ميل فوق حوض من اللافا ٠ وهنا تقف الصخور فى أشكال غريبة بأطراف وعرة حادة تجعل من الصعب علينـا السير قدما ٠ وفى بعض الأماكن كانت الأبخرة تنفجر الى أعلى من الينابيع الحارة التى تحت الأرض ٠

وواصلنا السير بثبات متجهين الى الغرب ٠ وفى الحقيقة ، لقد سرنا حول خليج فاكسا العظيم ، فرأينا قمم سنيفيل البيضاء تقف شامخة مقابل السحب على بعد يقل عن خمسة أميال ٠ وبدأت أشــعر بالتعب ، ولكن عمى لم يظهر عليه أية علامة ضعف ، فلم أستطع الا الاعجاب به ٠ أما بالنسبة لهانز فكان يعتبر هذه الرحلة نزهة لطيفة ٠

وفى يوم السبت ، العشرين من يونيـو ، وفى الساعة السادسة مسـاء وصلنـا بودار ، وهى قرية صغيرة تقع على شاطىء البحر · وهنا قال هانز لقد حان الآن وقت استلام نقوده ، فدفع له عمى · كان هذا هو مكان بيت المرشـــد ، حيث أهله وأسرته · فاستقبلنا أعمامه وأبناؤهم ·· وكانوا كرماء جدا معنا ، وكنت سعيدا بالبقاء هناك قليلا للراحة بعد هذه الأيام الخمســـة المتعبة ولكن عمى ، الذى لم يكن فى حاجة للراحة ، أراد شيئا واحدا ، وهو الاستمرار فى السير ، وأن نرتاح قليلا قدر الامكان ، ولذلك اعتلينا ظهـور جيادنا فى الصباح التالى ثانية ·

ومع انقضاء اليوم ، ازددنا اقترابا من الجبـل العظيم · ولم يستطع البروفسير أن يقاوم النظر اليه · **واستطعت أن اسمعه يحدث نفسه احيانا :**

ـ سنيفيل ··· أوه ، سنيفيل العظيم ! البوابة التى تفتح الى مركز الأرض ! « ساكنوسيم » ! « آرنى ساكنوسيم » ! اننا هنا !!

وأنهينا رحلة اليوم عند ستابى ، وهى قرية بها حوالى ثلاثين كوخا مبنيـة من اللافا · وتقع على طول جانب من ذراع صغير للبحر ·

وفى اليوم التالى استعددنا للصعود على الجبل · واصبحت جيادنا لانفع لها بعد ذلك ، وكان لابد أن يحمل أمتعتنا ثلاثة أيسلنديين ·

قال عمى لهـانز أنـه ينـوى أن يقوم بفحص للبركان ، وأن ينزل الى قاع فوهته ، وليس مهما عمقها مهما كان ·

فحرك هانز رأسه ببساطة ليبين أنه موافق · وكان سيان عنده أن يذهب الى هناك أو الى أى مكان آخر · أما بالنسبة لى ، حيث رأيت كم اقتربنـا من الأخطار المهولة التى تنتظرنا ، فبدأت أزداد خوفا · ولكن ماذا يجب عمـله ؟ فاذا رغبت فى أن أرفض الذهاب مع عمى أو أوقفه من الذهاب ، فقد كان على أن أفعل ذلك فى هامبورج وليس فى سنيفيل · لقد أصبح الوقت متأخرا جدا ·

وجعلتني فكرة بعينها أشعر بالقلق ، فكرة قد تقلق أى شخص ، وقلت لنفسي :

ــ اننا ذاهبون الى قمة سنيفيل ، لا بأس ، بل عظيم جدا · وسوف نزور الفوهة ، لابأس ، بل وعظيم جدا · فآخرون فعلوا ذلك وعادوا أحياء · ولكن هذا ليس كل شيء · فاذا كان هناك حقا ممر ينزل في داخل الأرض ، واذا كان ذلك الرجل المرعب ، ساكنوسيم ، قد تكلم الحقيقة ، فسوف نهبط ونضيع في الأعماق تحت البركان · ولكن ما هو الدليل على أن سنيفيل لم يعد بركانا نشطا ؟ من يدرى أنه لن ينفجر ؟ لقد خمد البركان منذ سنة ١٢٢٩ ، ولكن هل يثبت ذلك أنه لن يصحو من غفوته غدا ؟ وحتى لو لم يصح من غفوته ، فماذا سيحدث لنا ؟

كان هــذا جديرا بالتفكير فيه ، وأنا أفكر فيه بالفعل · ولم أستطع النوم دون أن أحــلم بالبراكين المتفجــرة ، ويجب أن أعتــرف بأنني لم أحب فكرة الانطلاق الى السماء عن طريق جبل منفجر ·

وأخيرا أحسست بأنى لابد أن أتحدث مع عمى فى الموضوع · ولكن يجب أن أتحدث معه ، لا على أننى أخاف من أى شيء ، انما على أننى أحاول تعلم المزيد عن طبيعة الأرض من داخلها ·

وذهبت اليه وقلت له ما أفكر فيه ، **وسألته :**

ـ كيف نعرف ياعمى أن بركانا قديما لن يصبح نشطا مرة أخرى فجأة ؟

وتوقفت منتظرا انفجارة غضب كنت أتوقعها ، **ولكن كل ما قاله كان :**

ـ لقد كنت أفكر فى ذلك ·

ماذا كان يقصـــد ؟ هل كان سيستمع لصوت العقل فعلا ؟ هل كان من الممكن ألا يستمر فى خطته بعد كل ذلك ؟ لا أعتقد !

وبعد بضع دقائق ، لم أجرؤ خلالها على أن أقول أى شيء آخر ، **قال هو ثانية :**

ـ كنت أفكر طول الوقت منذ أن وصلنـا الى ستابى ، وأخذت أسأل نفسى السؤال الهام نفسـه ، لاننا يجب ، فوق كل شىء ، ألا نقدم على أى عمل غير حكيم .

فقلت :

ـ انك تقول عين الصواب .

ـ لم يتكلم سنيفيل مدة مائة عام تقريبا ، ولكنه مع ذلك قد يتكلم . وفى نفس الوقت ، اننـا نعرف ما يلى : أن البراكين لا تتفجر مطلقا بدون حدوث أشياء أخرى قبل ذلك بفترة من الزمن ، فهى دائمـا تعطى انذارا . ولذلك كنت أسأل أسئلة عن الناس الذين يعيشون حول هذا المكان . ولقد تفحصت الأرض ، واستطيع الآن أن أقول بأنه لن يحدث انفجار .

لقد دهشت لما قال ، ولم أستطع ان أقول شيئا . واستمر عمى قائلا :

ـ ألا تصدقنى ؟ حسنا ، تعال معى .

وذهبت معه · وشق البروفسير طريقه خلال ممر فى الجدار الصخرى · وفى الحال أصبحنا فى الريف المفتوح ــ اذا أمكن استخدام كلمة « ريف » لرقعة أرض منعزلة من الصخور والحجر ·

كنت أستطيع رؤية تفجر أبخرة الماء فى أماكن مختلفة وهى تطفح مرتفعة قليلا فى الهواء · وبدا لى أنها دليل قوى لما أخشاه · **ولكن عمى استطرد قائلا :**

ــ هل ترى كل هذه الأبخرة يا أكسيل ؟ حسن، انها تدل على عدم وجود أى شىء تخاف منه ·

ــ ماذا تقصد ؟

فاستمر البروفسير قائلا :

ــ تذكر هــذا ، عندمــا يقترب وقت انفجــار البركان ، تتفجر هذه الأبخرة بقوة وتزداد أكثر وأكثر، ولكن لاتتصاعد أية واحدة منها أثناء انفجار البركان نفسه ، لأن الأبخرة ستهرب عن طريق فوهة البرهان بدلا من هروبها خلال هذه الفتحات التى فى الأرض ·

كانت الينابيع الحارة تنفجر من تحت الأرض

والآن ، حيث أن انفجارات الأبخرة تخرج كالمعتاد ، وبلا قوة زائدة عن المعتاد ، وأيضا ، حيث لم يحل الهدوء المميت الثقيل محل الريح والمطر ، فلك أن تتأكد تماما من أنه لن يوجد أى حدث بركانى .

ـ ولكن ...

ـ كفى ! عندما يتكلم العلم ، فليس لنا أن نقول أى شىء .

لقد خاب ظنى تماما . لقد فاز عمى ، كالمعتاد . ولكن كان لايزال هناك أمل واحد ، وهو أنه عندما نصل الى قاع الفوهة ألا نجد منفذا أو ممرا برغم ما كتبه « ساكنوسيم » .

وقضيت ليلة سيئة للغاية ، حلمت أننى كنت فى منتصف البركان فى عمق الأرض ، ثم انطلقت مندفعا نحو السماء .

وفى اليوم التالى ، الثانى والعشرين من يونيو ، كان هانز جاهزا ينتظرنا ، مع رفاقه حاملين الطعام ،

والأدوات ، والأجهزة ٠ وحملت أنا وعمى العصى ذات الأطراف الحديدية ٠ ولقد أضـــاف هانز ، كرجل حكيم ، الى حملنا زجاجة كبيرة مملوءة بالماء ٠ وكانت كافية لتبقى معنا مدة أسبوع ٠

وفى الساعة التاسعة غادرنا ســـتابى ، وبدأنا التسلق الطويل ٠ ان ارتفاع سنيفيل هو ٥٠٠٠ قدم٠ ولم نستطع أن نرى من النقطة التى بدأنا منها قمتيه المرتفعتين ، انما كنا نرى فقط جوانب الجبل والجليد الذى يغطى قمته ٠

وسرنا واحدا خلف الآخر ، وكان أولنا هانز . وهكذا كان من المستحيل تبادل أى حديث ٠

ورغم قلقى ومخاوفى ، كنت أستمتع بملاحظـة الصخور الغريبة لهذا الجزء من العالم ، وأخذت ، أفكر فى كل التاريخ الجيولوجى لأيسلنده ٠

وكما نعرف ، ففى الأزمان الغابرة ، منذ ملايين السنين ، كانت معظم الأرض الجافة حاليـــا مغطـاة

بالبحر . ومع مرور الوقت ، رويدا رويدا ، انبثقت الأرض بالتدريج وظهرت لتشكل العالم كما هو اليوم. فمن الواضح أن أيسلنده لم تنبثق خارج البحر منذ وقت طويل ، وربما مازالت تشق طريقها ببطء قليلا قليلا خارج البحر . واذا كان الحال هكذا ، فلابد من وجود شيء ما يدفع الأرض من أسفل . فهل هذا مصدره الحرارة الموجودة في أعماق الأرض ؟ اذا كان الأمر هكذا ، فلابد أن أفكار همفرى دافى ، وعمى ، وكتابات ساكنوسيم كلها خطأ فى خطأ .

كان كل شيء لاحظته خلال الرحلة يدل على انه لابد من وجود درجة حرارة عالية تحت فى أعماق الأرض . وكلما نزل الانسان أبعد ، ازدادت الحرارة ارتفاعا . ومع ذلك كان عمى يتوقع أن يصل الى مركز الأرض ! جنون ! لحسن الحظ أن ذلك يبدو مستحيلا. وحتى عمى سيعود قبل أن نصل الى طريقنا عبر الصخور المغلية والذائبة !

جعلتنى هذه الأفكار احس بسعادة أكثر .

وبدأ الطريق يزداد صعوبة . كان يرتفع بشكل حاد أكثر فأكثر . وسار هانز بسهولة ، وكأن الأرض منبسطة أمامه . وفي بعض الأوقات كنا لا نستطيع أن نراه ، عندما يتجه ناحيـــة اليســـار أو اليمين خلف صخرة كبيرة . وغالبـــا ما كان يلتقط بعض قطع من الصخر ، ويرتبها بطريقة قد تساعدنا في العثور على طريق عودتنا . كانت هذه الفكرة الطيبة فكرته ، رغم أنه كان لاداعي لها ، كما سنرى فيما بعد .

وبعد ثلاث ساعات من السير المرهق ، كنا مازلنا، بعد كل ذلك ، في سفح الجبل . وهناك قال هانز ، بأننا من الأفضل أن نقف لفترة قصيرة ، حتى نستطيع أن نأكل شيئا . وكان عمي قلقا يريد الاستمرار حتى أنه أكل أسرع منا جميعـا . ولكننا لم نتوقف للأكل فقط ، بل للراحة أيضا ، ولم ينادِ علينا هانز لاستئناف الســير الا بعد مرور ســاعة . ولم يقل الأيسلنديون الثلاثة شيئا .

وبدأ بعد ذلك العمــل الحقيقي .. كانت قمة

الجبل تبدو قريبة جدا ، ولكن كم من الساعات قد أخذت منا ، للوصول اليها ! وياله من عمل شـاق ! كانت الأحجار والصخور جميعها غير متماسكة ، وأثناء صعودنا كانت تنزلج من تحت أقدامنا وتتدحرج هابطة أسفل جانب التل ٠

وأخذ ميل الجبل يزداد حدة ، فكان من المستحيل التسلق فى خط مستقيم ، وكان علينا أن نمشى فى اتجاه جانبى ، ولم يكن هذا سهلا ٠ وساعدنا بعضنا البعض بالعصى ٠

٠ لا بد أن أعترف بأن عمى ظل ملاصقا لى قدر الامكان ، وساعدنى عدة مرات بذراعه ٠ لابد أنه كان ممتازا فى تسلق الجبال ، لأنه لم يسقط ولا مرة واحدة ، وكذلك الأيسلنديون ، رغم ما لديهم من أحمال ، فكانوا يتسلقون بسهولة ، وبدون توقف ٠ وكدت أعتقد أنه من المستحيل أن نصل الى القمة ٠

وفى الساعة السابعة مساء كنا قد تسلقنا ٢٠٠٠ قدم من الجبل ٠ فكنا أعلى من قاع الفوهة ٠ كان البحر

من تحتنا بحوالى ٢٣٠٠ قدم · وكنا عندئذ فى وسط الجليد ، وكان البرد قارسا والريح تهب بعنف ، وكنت مجهدا تماما · ورأى البروفسير كم كنت متعبا فقرر ، رغم نفاد صبره ، أن نتوقف · وقال لهانز أن يتوقف، ولكن هانز هز راسه ، وقال :

ــ « اوفانفور » !

فقال عمى :

ــ انه يعنى أننا يجب أن نستمر فى الصعود · وسأله عن السبب ، فاجاب مرشدنا :

ــ « ميستور » !

وقال احد الأيسلنديين فى صوت يدل على انه خائف من شىء :

ــ « يا ، ميستور » !

فسألت :

ــ ما معنى هذا ؟

فاجاب عمى :

ـ أنظر !

فنظرت الى أسفل ، كانت كمية هائلة من الأحجار والرمل وغبـــار بركانى تتطاير كلهـا فى دوائر فى الهواء ٠ وكانت الريح توجههـا الى هذا الجـانب من الجبل حيث تلقى بظـل كبير ٠ وكانت قادمة مباشرة نحونا ، واذا لحقت بنا وأمسكتنا فى داخلهـا لحملتنا فى الهواء معهـــا ٠ انهـا ما يسمونهـا بالأيسـلندية « ميستور » ٠ وصرخ مرشدنا :

ـ « هاستيجت ، هاستيجت ! »

ورغم أننى لا أفهم اللغة الدنماركيـة ، الا اننى عرفت أنه يريد منا أن نسرع ونتبعه ٠ وبدأ يتجه نحو الجانب الآخــر من الجبل ٠ وبعد قليل سقطت كل هذه المواد الحجرية على الجبل فى صوت ارتطام مهول٠ واهتزت الأرض التى كنا نقف عليها ٠ ولحسن الحظ أننا كنا قد وصلنـــا الى الجانب الآخر ، ونجونا من هلاك محقق ٠ ولكن اذا لم يكن مرشـــدنا قد حذرنا

لتناثرت أجسامنا فى الهـواء ، وتمزقت الى أشـــلاء وحملتها الريح .

ولم يعتقد هانز أنه من الحكمة أن نقض الليل على جانب الجبل ، ولذلك كان علينــا أن نستمر فى التسلق . كنت أكاد أن أموت بــردا وجوعا . وكان الهواء مخلخلا لدرجة يصعب التنفس فيها . وكانت الساعة الحادية عشرة مساء ، عندما وجدنا أنفسنا على القمة ، وقبــل أن أنزل فى الفوهة مع الآخـــرين ، كان لدى الوقت لأرى شمس منتصف الليل فى أقصى نقطة انخفاض لها ، تشرق بضعف على الجزيرة ، التى تمتد تحت قدمى ..

وتناولنا طعامنا فى الحال ورتبنــا أنفسنا على قدر ما أمكننا . كان فراشنا قاسيا ، والهواء باردا ، وهذا لم يكن يدهشنا ، فقد كنا على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر . ولكن رغم كل شىء فقد نمت بعمق . بل كانت أفضل نومة لى منذ فترة طويلة ، حتى أننى لم أحلم بشىء !

الفصل السابع

الهبوط

وعندما استيقظنا فى الصباح التالى شعرنا بالبرد القارس · كانت الشمس مشرقة عندما استيقظت من سريرى الحجرى وخرجت لأرى المنظر الجميل ·

كنت فوق قمة احدى أعلى نقطتين ، وهى التى فى جهة الجنوب · فاستطعت أن أرى كل الجزيرة · كانت تبدو كخريطة مفرودة تحتى · ولحق بى البروفسير وهانز · واتجه عمى ناحية الغرب وأشار الى شىء بعيد يبدو كالدخان أو البخار الراكد فوق البحر ، **وقال :**

ـ انها جرينلاند ٠

فصرخت :

ـ جرينلاند ؟

ـ أجل ، اننا نبعد عنها بحوالى مائة ميل فقط ٠ انك لاتعرف يا أكسيل أن جزءا من أمريكا يمكن رؤيته من جزء من أوربا ؟

ثم استمر عمى قائلا :

ـ اننا على قمة سنيفيل ، وهاهما النقطتان المرتفعتان ، واحدة فى اتجاه الجنوب والأخرى فى اتجاه الشمال ٠ وسيخبرنا هانز بالاسم الذى يطلقه الايسلنديون على النقطة التى نقف عليها الآن والتفت الى هانز وسأله السؤال ، **فاجابه هانز :**

ـ سكارتاريس ٠

فالقى عمى الى بنظرة رضا وسعادة **وقال :**

ـ اذن ، دعنا نتجه الى الفوهة ٠

كان اتساع فوهة سنيفيل حوالى ثلاثة أميال ٠ ويبدو أن عمقها حوالى ٢٠٠٠ قدم ٠ تخيل كيف تبدو عندما تمتلىء بالنـار والصخر المشتعل ! ولايمـكن أن يزيد اتساع قاع الفوهة عن ٥٠٠ قدم ، ولذلك كان من السـهل الهبوط ٠ وأخذ هانز مكانه على رأس مجموعتنا ، وتبعته ٠

وفى بعض الأماكن عثرنا على ثلج عميق ٠ وسار هانز فى هذه الأماكن بحرص شديد ، وضرب الأرض بعصاه فى كل خطوة ليتأكد من السلامة قبـل أن يخطو ٠ وحيثما كانت الأرض تبدو أكثر خطرا ، كنا نربط أنفسنا سويا بحبل طويل ، حتى اذا سقط واحد منا ، يمكن أن يسحبه الآخرون ٠ وكان هذا ترتيبـا حكيما ، ولكن مع ذلك كان هناك بعض الخطر ٠

وبالـرغم من أن الهبوط كان صـعبا ، وكانت الرحلة جديدة على مرشـدنا ، الا أنه لم يحدث أى حادث ٠

وعند الساعة الثانية عشر وصلنـا الى القاع ٠

وتطلعت الى أعلى فرأيت فم الفوهة مقابل السماء ٠ كانت كاملة الاستدارة ٠ واستطعت أن أرى عند طرفها ، قمة سكارتاريس المشمسة ٠

وفى قاع الفوهة كانت هناك ثلاث فتحات ، انها نهايات المداخن الحقيقية ، التى فجرت منها نيران سنيفيل المركزية بحممها ودخانها ٠ وكان اتساع كل واحدة من هذه المداخن حوالى مائة قدم ٠ وشعرت بالرعب وأنا أنظر اليها ٠ لكن البروفسير ليدنبروك تفحص ثلاثتهم بسرعة ٠ وركض من واحدة للأخرى فى حالة نشوى قصوى ، مصدرا تحركات عنيفة ، ومحدثا نفسه ٠ أما هانز ورفاقه ، الجالسون على الصخور ، فكانوا ينظرون اليه ويندهشون لما كان يفعل ويقوله ٠ لقد ظنوا أنه جن ٠

وفجأة أصدر عمى صرخة ٠ فاعتقدت يقينا أنه سقط فى احدى الفتحات ٠ ولكن لا ، لقد كان واقفا فاردا ذراعيه وساقيه أمام صخرة ضخمة فى مركز الفوهة ٠ وقف هناك مثل رجل يتخبطه مس من

الدهشة ، فلا يقدر بعد أن يكون أفكارا واضحة ، ولكن عندما جاءته الأفكار الواضحة ، تحول الى ما يشبه الجنون من فرط سعادته وصرخ قائلا :

ـ أكسيل ! أكسيل ! أكسيل ! تعال هنا !

فركضت اليه . ولم يتحرك هانز ولا رفاقه ، وقال البروفسير :

ـ أنظر !

واذا لم أكن سعيدا كما كان ، كنت على الأقل مندهشا مثله ، لوجود الاسم ، الاسم المرعب على وجه الصخرة ، بالحروف الرونية ، المتآكلة بعض الشيء من عوامل الزمن :

وصرخ عمي :

ـ أرني ساكنوسيم ! هل لديك أي شك ؟

ولم أجب ، أو بالأخرى لم أستطع الاجابة . وذهبت وقعدت على صخرة . كان هذا كثيرا بالنسبة لى . فلا يوجد شىء يمكن أن يقال.ولا أدرى لم جلست هناك فى حالة دهشة وانبهار . كل ما أعرفه هو أننى عندما نظرت الى أعلى ثانية كان عمى وهانز فقط معى فى الفوهة . لقد ذهبت الأيسلنديون عائدين الى ستابى

كان هانز نائما فى سبات عميق عند نهاية صخرة ، حيث هيأ نوعا من الفراش لنفسه ، وكان عمى يذرع المكان ذهابا وايابا ! كالحيوان الكاسر . لم تكن عندى الرغبة ولا القوة على النهوض . ولذلك فعلت ما فعله هانز ، وسقطت فى النوم . ولكن أثناء نومى خيل لى سماع ضجيج الجبل ، وشعرت أنه يهتز .

وبهذه الطريقة قضيت الليلة الأولى فى قاع الفوهة . وفى اليوم التالى كانت السماء مصبوغة باللون الرمادى القاتم ، وكان عمى حانقا بعنف . وفهمت لماذا كان حانقا ، وبدأ الأمل يراودنى مرة أخرى . وكان السبب كالآتى :

كانت هنـاك ثلاث طرق يمكن السـير فيهـا . ولكن طريقا واحدا فقط هو الذى سار فيه ساكنوسـيم . وطبقا لما ذكره فقد كانت هناك وسيلة وحيدة لمعـرفة الطريق الصـحيح . وهو الطريق الذى يسقط ظـل سكارتاريس على فتحته ، خلال أواخر أيام شهر يونيو.

ولكن لعدم وجود الشمس ، فلم يكن هنـاك ظل . فلا يوجد ما يخبرنا عن أى الطرق الثـلاثة هو الطريق الذى يجب أن نسلكه . وكنـا فى الخامس والعشرين من يونيو ، واذا استمرت السـماء غائمة للأربعة أيام الباقية ، فلن نستطيع فعل أى شىء حتى العام المقبل .

فلا عجب اذن أن عمى كان حانقا بعنف !

ومر اليوم ، ولم نر أى ظل . ولم يتحرك هانز مطلقا ، بالرغم من أنه لابد قد اندهش لانتظارنا هنا ... هذا اذا كان يستطيع الاندهاش على الاطـلاق . ولم يتكلم عمى معى مطلقا . ولم يفعل شيئا سوى أنه احتفظ بعينيه مثبتتين على السماء الرمادية .

وفى السادس والعشرين لم نر أيضا أى ظل ، واستمرت الأمطار ، والجليد فى السقوط طوال اليوم. وقام هانز بعمل كوخ من الأحجار . وقضيت الوقت متطلعا الى آلاف المجارى المائية المنهمرة باستمرار على جوانب الفوهة . لا أستطع وصف غضب عمى ونفاد صبره . وكانت الحالة بالتأكيد كافيــــة لجعل أشد الناس صبرا غاضبا .

وكان اليوم التالى معتما أيضـــا ... لا شمس ... لا سماء زرقاء ولا رمادية ... ولا ظل . ولكن فى يوم الأحد الثامن والعشرين من يونيو ، وقبل نهاية الشهر بيومين ، ومع تغير القمر ، جاء تغير الطقس . فأرسلت الشمس باشعتها الى أعماق الفوهة ، فكان كل تل ، وكل صخرة ، وكل حجر يسطع فى ضـوء الشمس ، وكل منها يلقى بظله على الأرض . ورأينا من بينها ظل سكارتاريس . كان يتحرك بشكل دائرى مع الشمس . وكان عمى يتحرك معه . وعند الساعة الثانية عشر وقع متهاديا على طرف المدخنة الوسطى : فصرخ عمى بالألمانية ثم بالدنماركية :

ـ هذا هو الطريق ! هذا هو الطريـق ! والآن فلنبدأ طريقنا الى مركز الأرض !

ونظرت الى هانز الذى اجاب بهدوء :

ـ « فوروت » !

فقال عمى :

ـ الى الأمام ٠

وبدأت عندئذ الرحلة الحقيقية ٠ ولقـد كانت رحلتنا حتى الآن ، متعبة أكثر منهـــا صعبة ، ولكن اعتبارا من ذلك الوقت ستصبح هناك صعوبات أعظم٠ لم أكن قد نظرت بعد أسفل المدخنة التى بلا قرار ٠ لقد حان الوقت ٠ ويجب أن أقرر الآن اذا كنت سأذهب أم سأتوقف ٠ ولكنى كنت خجـلا أن أتوقف ، بينما كان هانز مســـتعدا للذهاب ٠ كان هانز يبدو كأنه لايخشى أى شىء ، فهو لايرى أى خطر ، وكيف لى أن أكون أقل شجاعة منه ؟ واذا كنت مع عمى بمفردنا ، لكنت قد أبديت له مخاوفى ، وأبين له حمــاقة خطته

قال عمي : هذا هو الطريق !

واستحالتهـا ٠ ولكن كيف لى أن أفعـل هذا أمام مرشدنا ؟ لذلك لم أقل شـيئا ٠ ولاحت جروبن فى خاطرى ، فرأيتها مع آمالها بنجاحنا ، ثم سرت بشجاعة الى حافة المدخنة الوسطى ٠

لقد قلت من قبل ، على ما أعتقد ، أن اتساعهـا كان مائة قدم أو أن محيطها كان ثلاثمائة قدم ٠ ونظرت الى أسفل المدخنة وأنا ممسك بصخرة باحكام ٠ وكانت لحظة مخيفة ٠٠٠ خيل لى أن شعر رأسى قد وقف فى استقامة ٠ وبدا كل شيء يدور فى دوائر ٠ أعتقد أننى كنت على وشك السقوط ، وعندما أمسكت بى يد قوية ٠ انها يد هانز ، الذى أمسك بى ٠ ومعنى هذا ، أننى لم أستوعب دروس كوبنهاجن بعد ، فى النظر الى أسـفل ٠

واعطانى القليـل الذى قد شـاهدته من هذه المدخنـة ، فكره جيدة عن شـكلها ٠ فبالرغم من أن جدرانها تنحدر باستقامة ، الا أنها ليست ملسـاء ٠ كانت تبرز منها صخور حادة ، فى بعض الأماكن ، مثل

السلالم · ولكن لم يكن هناك ما نستطيع أن نمسكه بأيدينا ونتعلق به · ولعله من المفيد استخدام حبل يثبت فى طرف المدخنـــة ، ولكن كيف لنـا أن نفكه عندما نأتى الى نهايته ؟

ووجد عمى طريقة بسيطة ، وبارعة لحـل هذه الصعوبة · أخذ حبلا فى سمك الاصبع وحوالى ٤٠٠ قدم طولا ، وأنزل نصفه أولا ، ثم وضع منتصفه حول صخرة ناتئة من الجدار ، وألقى بالنصف الآخـــر · واستطاع كل واحد منا النزول ممسكا بفرعى الحبل · وبعد أن نزلنـا ٢٠٠ قدم ، كان من الســـهل انزال الحبل بسحب احدى طرفيـه · ثم كررنا ذلك مرات كثيرة ·

وقال عمى :

ـ والآن ، دعونا ننظر بشأن الأمتعة ، ســوف نقسمها الى ثلاثة أجزاء ، وكل واحد منا سيثبت جزءا على ظهره · أقصد ، طبعا ، فقط تلك الأشياء المعرضة للكسر بسهولة ·

ثم أردف قائلا :

ـ هانز سوف يأخذ الأدوات وجزءا من الطعام . وأنت يا أكسيل ، سوف تأخذ البنادق والثلث الآخر من الطعام ، وأنا سوف آخذ باقى الطعام مع الأجهزة العلمية .

فسألت :

ـ ولكن من سيأخذ الملابس وكل هذه الحبال .

ـ انها ستهتم بنفسها .

ـ كيف ؟

ـ سوف ترى .

وطلب من هانز أن يلف كل هذا فى لفافة كبيرة واحدة ، وهى أشياء لاتكسر ، وألقى بها فى الأعماق . واستطعت سماع الجلبة التى لصدرتها هذه اللفافة وهى تسقط فى الهواء . وأخذت الجلبة تقل رويدا رويدا وفى النهاية لم أستطع سماع أى شىء على الاطلاق . فقال عمى :

ـ هذا سليم · والآن فلنبدأ بالنزول !

بالله عليك ، هل ممكن لأى انسان ليس بمخبول أن يسمع مثل هذه الكلمات دون أن يخاف ويرتعب ؟

وثبت عمى عندئذ الأجهزة على ظهره ، وأخذ هانز الأدوات ، وأخذت أنا البنادق · ونزل هانز أولا ، ثم عمى ، ثم أنا · ولم نقل شيئا · ولم يكن هناك أى صوت ، سوى صوت الصخور السائبة وهى تسقط فى الأعماق · وتركت نفسى أهبط ، ممسكا الحبل المزدوج فى يد واحدة باحكام ، وساندا نفسى بالعصا التى فى يدى الأخرى · وكانت تسيطر على عندئذ فكرة واحدة ، كنت خائفا من أن الحبل قد ينقطع ، لأنه كان يبدو رفيعا جدا على أن يحمل ثلاثة رجال · فاستخدمته قليلا قدر الامكان ·

وبعد حوالى نصف ساعة وجدنا أنفسنا على صخرة كبيرة منبسطة ناتئة من جدار المدخنة · فجر هانز الحبل من احدى طرفيه ، فطار الطرف الآخر الى أعلى · وعندما مر من الصخرة التى كان يتعلق بها

سقطت خالية معها عددا كبيرا من الأحجار السائبة ٠

نظرت من فوق حافة صخرتنا الضيقة ، ولكنى لازلت لا أستطيع رؤية أى شىء تحتى ٠

ثم أعددنا الحبل ثانية كما كان من قبل ، وبعد نصف ساعة أخرى ، هبطنا ٢٠٠ قدم أخرى ٠

لا أدرى اذا كان أخبل جيولوجى قد حاول دراسة طبيعة الصخور أثناء هبوطه بهذا الشكل ٠ أما عن نفسى ، فلم أزعج نفسى بذلك ، ولم يعننى أى نـوع من الصخور كانت ٠ ولكن لاشك أن البروفسير كان يتفحصها بعناية ، لأنه قال لى :

ـ كلما نزلت تأكدت من أننى على صـــواب ٠ ان ترتيب هذه الصخور تعضد فكرة همفرى دافى بشكل قوى ٠ لا أعتقد على الاطلاق أن مركز الأرض حار ٠ على أية حال فسوف نرى قريبا ٠

دائمـــا نفس الفكرة ٠ لم أشعر بالرغبـة فى أن أقول أى شىء قد يجعل عمى حانقـا ، وهكذا طالما أننى لا أقول شيئا ، فيفترض عمى أننى أتفق معه ٠

واستخدمنا الحبل في الهبوط الى قاع الفوهة

وبدأنا نهبط مرة أخرى ، ولكن بعد ثلاث ساعات لم يظهر القاع لنا · وعندما نظرت الى أعلى ، رأيت فم المدخنة أصغر بكثير عما كان من قبل ·· وبدأ الظلام يزداد بالتدريج ·

وواصلنا الهبوط فى الأعماق · وخيـــل لى أن الأحجار السائبة لم تعد تسقط بعيدا ، وأنها بدأت تصدر جلبة أكثر · ولقد أخذت فى اعتبارى أن الاحظ كم عدد المرات التى أعدنا فيها تعليق الحبل حتى أعرف بالضبط العمق الذى نحن عليـه ، وكـم تستغرق الرحلة · ففى كل مرة كنا نستغرق نصف ساعة فى الهبوط على طول الحبـــل ، ولقد فعلنـا ذلك أربع عشرة مرة · وهذا يعنى أننا هبطنا لمدة سبع ساعات، بالاضافة الى ثلاث ساعات ونصف للراحة والأكل ، أى ان المدة كلها عشر ساعات ونصف · ولقد بدأنا فى الساعة الواحدة ، فلابد أنها الحادية عشر الآن ·

أما بالنسبة للعمق فكان ٢٠٠ قدم مضاعفة أربع عشرة مرة تعطى عمقا قدره ٢٨٠٠ قدم ·

وفى هذه اللحظة سمعت صوت هانز مناديا :

ــ قف !

فتوقفت فى الحال ، وكانت قدمى على وشك أن تخبط رأس عمى ، الذى صرخ قائلا :

ــ لقد وصلنا !

فسألت ، بعد أن خطوت هابطا الى جانبه :

ــ أين ؟

ــ فى قاع المدخنة ٠

ــ اذن فليس هناك طريق بعد ذلك ؟

ــ بل هناك ممر ، على ما أعتقد ، جهة اليمين ٠ لكننا سوف نرى غدا ٠ لقد حان الآن وقت الطعام وبعد ذلك يجب أن نخلد للنوم ٠

وفتحنا احدى الحقائب ، وأخذنا بعضـــا من

الطعام ، وبعد الأكل رتبنا نحن الثلاثة أماكن مريحة قدر الامكان فوق الأحجار .

وعندما رقدت على ظهرى ، رايت نقطة تبرق فى نهاية المدخنة ، كانت نجمة تتلألأ فى السماء ... ثم سقطت فى نوم عميق !

الفصل الثامن

اعطني يوما آخـر

وفى الساعة الثامنة من الصباح التالى أيقظنا ضوء النهار القادم الينا من على بعد ٣٠٠٠ قدم ٠ لم يكن ، بالطبع ، ضوءا قويا ، لكنه كان كافيا ليجعلنـا نرى الأشياء من حولنا ٠ **فســأل عمى الذى كان فى غاية السرور :**

ـ ما رأيك الآن يا أكسيل ؟ هل حدث وقضيت ليلة أهدأ فى المنزل القديم بشارع كونيج ؟ فلا توجـد هنا ضجة ولا صخب من أى نوع ٠

ـ نعم ، بالتأكيد أنها هادئة ، ولكننى لا أحب الهدوء . انه يجعلنى أشعر بالخوف بعض الشىء .

فقال عمى :

ـ تعال ، تعال . اذا كنت خائفا الآن ، فكيف سيكون شعورك فيما بعد ؟ فاننا الى الآن لم نهبط ولا بوصة واحدة فى باطن الأرض .

ـ ماذا تقصد ؟

ـ اقصد أننا لسنا فى مستوى تحت مستوى البحر لقد هبطنا نفس المسافة التى صعدناها عندما تسلقنا سنيفيل .

ـ هل أنت متأكد من ذلك ؟

ـ تماما . انظر الى البارومتر .

انه يشير الى تسع وعشرين بوصة !

فقال البروفسير :

ـ كما ترى ، لدينا الضغط العادى للهواء .

ـ ولكن أثناء هبوطنا ، ألن يزداد ضغط الهواء ، ويشكل صعوبة فى التنفس تزداد مع زيادة عمق هبوطنا ؟

ـ سوف نهبط ببطء ، وسنعتاد على الهواء الثقيل بالتدريج ٠ ومن الأفضل أن يكون الهواء ثقيلا عن ان يكون خفيفا ٠ ولكننا نضيع الوقت ٠ أين اللفافة التى ألقينا بها بالأمس ٠

وعندئذ تذكرت أننا بحثنا عنها الليلة الماضية ولم نستطيع العثور عليها ٠

وسأل عمى هانز عنها ٠ وبعد ان بحث هانز من حولنا ، قال :

ـ « دير هوبى » !

ـ فوق هناك ٠

كان ذلك حقيقيا ٠ كانت الرابطة معلقة بصخرة على بعد مائة قدم فوق رؤوسنا ٠ فتسلق الأيسلندى

بسرعة ، وفى خلال دقائق قليلة حصلنا عليها ثانية . **فقال عمى :**

ــ **والآن ، دعونا نتناول الافطار ، ولنأكل مثل الرجال الذين أمامهم أن يسيروا يوما بأكمله .**

وعندما انتهينا من افطارنا ، أخذ عمى مفكرة من جيبه ، ونظر الى الأجهزة المختلفة **وكتب :**

الاثنين أول يوليو :

كرونومتر	:	١٧ر٨ فى الصباح
بارومتر	:	٢٩ر٧
ترمومتر	:	ــر٦
الاتجاه	:	شرق ــ جنوب ــ شرق .

وتعنى هذه الملاحظة الأخيرة اتجاه الممر المظلم الذى أشارت اليه البوصلة . **وصرخ البروفسير فى صوت مبتهج قائلا :**

ــ **والآن يا أكسيل ، أننا مستعدون للهبوط فى**

باطن الأرض · وهذه هى اللحظة التى تبدأ بها رحلتنا بالضبط ·

وبعد ان قال ذلك ، أخذ عمى الجهاز الكهربائى المعلق فى عنقه باحدى يديه وأوصله بالمصباح الكهربائى · فألقى على الفور ضوءا ساطعا يكفى لرؤية كل شيء بوضوح · وكان هانز يحمل المصباح الآخر ، الذى كان يضاء بنفس الطريقة ··

والتقط كل منا أحماله وثبتناها على ظهورنا · أما بالنسبة لحمل الملابس والحبال ، فكان هانز مستعدا لدحرجته أمامه · وقال عمى :

ــ الى الأمام !

وقبل أن أدخل فى الممر المظلم تطلعت الى أعلى مرة أخرى لأرى لآخر مرة فى حياتى سماء ايسلنده ، أو بالأحرى دائرة صغيرة منها ·

وعندما حدث آخر انفجار بركانى عام ١٢٢٩ ، كونت اللافا بحممها المنصهرة هذا الممر لنفسها ، فتغطت

جوانبه ببعض المواد المعدنية البراقة · فكان المنظر رائع الجمال ، ولم أستطع ان أقاوم اعجابى به · فصرخت قائلا :

ــ انها رائعة ! أنظر الى هذه الألوان ياعمى !

فأجاب عمى :

ــ آه ، انك معجب بها يا أكسيل ، وتقول أنها رائعة ، سوف ترى يابنى أشياء كثيرة أخرى ستعجب بها · هذا ما أرجوه · دعنا نسير الآن !

كان المفروض أن يقول عمى :

ــ دعنا ننزلق ·

لأننا كنا ننزلق أكثر مما نمشى · وكان انحدار الطريق ، فى الحقيقة ، هو الصعوبة الرئيسية ، وكان علينا أن نكون فى منتهى الحذر حتى لا نسقط · كنا نسير فى اتجاه الجنوب الشرقى · وكان الطريق مستقيما فى هذا الاتجاه لا ينحرف الى هذا الجانب أو الى ذاك ·

ومع كل هذا لم يزدد دفئا ·وبعد ساعتين وجدنا الجو أدفأ بأربع درجات فقط · وحوالى الساعة الثامنة فى المساء طلب عمى منا أن نتوقف · فجلس هانز فى الحال · وعلقنا المصابيح على قطع من الصخر البارزة على جوانب الممر ، حيث كنا فيما يشبه الكهف ·

قد تعتقد انه لم تكن هناك حركة للهواء ، ولكن الحال لم يكن هكذا ·

ففى بعض الأوقات كنا نشعر بهبوب ريح ·· من أين تأتى ؟ ·· ولكنى كنت متعبا جدا وجائعا جدا لأفكر كثيرا فى مثل ذلك · فالهبوط لمدة سبع ساعات فى طريق منحدر بهذا الشكل يستنفد قوة الانسان · لذلك فقد كنت سعيدا جدا ، عندما سمعت الأمر بالتوقف · وأحضر هانز الطعام وبسطه على صخرة مسطحة · ولكن كان هناك شىء جعلنى أشعر بالقلق : لقد استخدمنا نصف الماء الذى أحضرناه معنا · ولقد كان عمى يتوقع العثور على ينابيع تحت الأرض ، ولكن

حتى الآن لم يظهر ينبوع واحد · ولم أستطع أن أقاوم لفت انتباهه الى هذه الحقيقة · فسألنى :

ـ هل أنت مندهش لعدم العثور على ينابيع ؟

ـ نعم ، مندهش ، بل وأشعر بالقلق ، فلدينا ماء يكفينا خمسة أيام فقط ·

فأجاب :

ـ لا تدع هذا يسبب لك أى قلق · فأنا متأكد من أننا سنجد الماء ، وبوفرة ·

ـ متى ؟

ـ عندما نخرج بعيدا عن جدران اللافا · فكيف تتفجر ينابيع من خلال جدران مثل هذه ؟ لا تستطيع ينابيع الماء أن تشق طريقها فى اللافا الصلدة ·

ـ ولكن ربما يمتد هذا الممر الى عمق مهول · يبدو لى أننا لم نهبط كثيرا ·

ـ ما الذى يجعلك تظن ذلك ؟

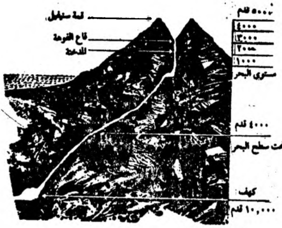

خريطة لداخل البركان

ـ لأن الحرارة لابد أن تكـون أزيد من ذلـك بكثير اذا كنا قد هبطنا كثيرا ٠

ـ لو كنت على صواب فى فكرتك عن الحرارة المركزية ، لكانت فكرتك هذه بالتالى صحيحة ٠ ولكن فكرتك خاطئة ٠ وهمفرى دافى على صواب ٠ أنظر الى الترمومتر ، ماذا يبين ؟

ـ ان درجة الحرارة خمســة عشر ، وهى أكثر بتسع درجات عما كانت عليه عندما بدأنا ٠

ـ حسنا ، وماذا يعنى ذلك ؟

ـ أظن انه يعنى التالى : طبقا لكل ما نعرفه عن الموضوع ، وكل ما قرأناه عن الموضوع تزداد الحرارة درجة واحدة كلما هبطنا مائة قدم ولكن بالقرب من بركان قديم ، حيث الصخور صلبة جدا فتزيد الحرارة درجة واحدة لكل ١٢٥ قدم ٠ دعنا نرى حساب ذلك ٠

٠٠ أجل يا ولدى ، احسبها ٠

فقلت وأنا أكتب الأرقام :

– لا شيء أسهل من ذلك ، ١٢٥قدما مضاعفة تسع مرات تساوى ١١٢٥ قدما عمقا ٠

فقال عمي :

– بالضبط ، ولكن دعني أقول لك هذا : فبدلا من ان نكون تحت عمق ١١٢٥ قدما فقط ، فنحن في عمق ١٠ر٠٠٠ قدم ٠ لقد درست بكل عناية كم هبطنا خلال اليوم كله ، ولا يوجد مثار لأى شك في ذلك ٠ لقد هبطنا اليوم ١٠ر٠٠٠ قدم ٠

كان ما قاله عمي صحيحا تماما ٠ فهو لا يخطىء في موضوعات من هذا النوع ٠ لقد نزلنا بالفعل ٦٫٠٠٠ قدم أعمق من العمق الذى نزله أى انسان من قبل ٠

والحرارة التي يجب ان تكون آنئذ (٨١) درجة ، لم تكن أكثر من (١٥) درجة فقط ٠

يبدو ، اذن ، وكأن عمي ، وهمفرى دافي كانا على

حق ، وبالتالى يعنى ذلك أن مركز الأرض ليس مكانا مرتفع الحرارة ·

وفى اليوم التالى ، وفى الساعة السادسة صباحا بدأنا السير مرة أخرى · ولازال الممر تغطيه اللافا ، ولكنه لم يعد شديد الانحـدار ، وبدأ يمتد بانحدار لطيف ، وسرنا بسهولة أكثر وواصلنا السير الى ما بعد الساعة الثانية عشرة · وتوقف هانز الذى كان يسير أمامنا · فصرخ عمى قائلا :

ــ آه ! اذن لقد وصلنا الى نهاية الممر ·

ونظرت حولى فرأيت ممرين جديدين أمامنـــا : واحدا فى اتجاه الشرق ، والآخر فى اتجاه الغرب · أى منهما يجب ان نسير فيه ؟ وتشـــكلت هنا صـعوبة جديدة · لكن عمى لم ينتظـر · لقد أشـــار الى الممر الشرقى ، وفى الحال كنا ثلاثتنا نشق طريقنا فيه ·

وكانت غلطة · ولكننا اكتشـــفنا ذلك بعد أيام عديدة · لم يكن الممـر الجـديد منحدرا بشـــدة على

الاطلاق ، كان انحداره بسيطا جدا · ولم أعجب به ، وشعرت بأن هناك خطأ ما ، ولكنى لم أحب أن أخبر عمى بما شعرت ·

وعند الساعة السادسة مساء ، بعد سير غير متعب على الاطلاق ، كنا قد قطعنا ستة أميال فى اتجاه الجنوب ، وأقل من ربع ميل عمقا · فتوقفنا وتناولنا العشاء · وتكلمنا قليلا ، ثم أخلدنا للنوم دون التفكير كثيرا ·

واستيقظنا الصباح التالى شاعرين بالنشاط والراحة ، وسرنا فى طريقنا مرة أخرى ، وتبعنا ممر اللافا مثل اليوم السابق · ولم يهبط بكل تأكيد · بل كان يبدو لى أنه يصعد · حتى ، أننى عند حوالى الساعة العاشرة ، شعرت بالتعب ، وبدأت أسير ببطء · فقال البروفسير بنفاد صبر :

– أسرع يا آكسيل ! ما الذى يؤخرك ؟

فأجبت :

ـ لابد أن أتوقف . انني لا أستطيع السير بهذه السرعة .

ـ ماذا ؟ بعد مسيرة ثلاث ساعات فى مثل هذا الطريق السهل ؟

ـ ربما سهل ، ولكنه متعب جدا .

ـ ماذا ؟ هل تعبت بالرغم من أنه منحدر ؟

ـ منحدر ؟ تقصد أنه يرتفع ! ففى النصف ساعة الأخيرة كنا نصعد ، واذا استمر هكذا فلن يمر علينا وقت طويل حتى نجد أنفسنا فى أيسلنده مرة أخرى .

فهز البروفسير رأسه ، وكان لا يرغب فى سماع ما كنت أقول . وهكذا واصلنا السير . وأخذت أفكر ، أنها طريقة جيدة للعودة الى أيسلنده ، وبعد ذلك الى كوبنهاجن وهامبورج ، ولكنها بالتأكيد ليست الطريق الى مركز الأرض .

وعند الساعة الثانيـــة عشرة لاحظت تغيـرا فى مظهر جدران الممر · فرأيت ، بدلا من اللافا ، صخورا جديدة مرتبة فى طبقات منتظمة ·· كنا بين صخـــور العصر السيلورى ·

كان يجب أن أحتفظ بأفـكارى لنفسى ، ولكن اهتمامى بالجيولوجيا دفعنى لأن أصرخ فى اندهاش لما رأيته ، وسمعنى عمى ، فسألنى :

ـ ماذا بك يا أكسيل ؟

فاجبت موضحا له اختلاف أنواع الصخور :

ـ أنظر !

ـ حسن ؟

ـ لقد تركنا اللافا تحتنا ، ووصلنا الآن الى طبقات أعلى حيث توجد البقايا المتحجرة للحيوانات والنباتات ·

ـ هل تعتقد ذلك ؟

ـ ولكن أنظر ! افحص الصخور بنفسك !

وأجبرت البروفسير أن يلقى ضوء المصبـــاح على جوانب الممر . وتوقعته أن يصرخ فى اندهاش . ولكن بدلا من أن يفعل ذلك ، سار دون أن يقول أية كلمة .

هل فهم أم لا ؟ .. هل لا يريد أن يعترف بأنه قد أخطأ فى اختيار الممر الذى فى جهة الشرق ، أم هل هو يريد فحص الممر حتى نهايته ؟

وفى نفس الوقت تساءلت اذا كنت قد أخطــأت بخصوص الصخور . هل كنا فى الحقيقة نسير خـلال الطبقات التى تمتد فوق الصخور البركانية القديمة ؟ وفكرت :

ـ اذا كنت على صواب فيجب أن أرى بقايا متحجرة لنباتات وحيوانات . سوف أنظر .

ولم أسر أكثر من مائة خطوة أخرى ، عندما وجدت البرهان على صواب فكرتى . واستطعت أن أرى على

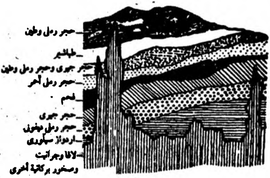

كنا بين صخور العصر السيلوري

الجدران أشكال نباتات وحيوانات صغـــيرة من الماضي السحيق ٠٠ أحافير (١) !

والتقطت أحفورا متـــكاملا ، وركضت الى عمى . **وأريته له ، قائلا :**

ـ أنظر !

فقال بهدوء :

ـ حسن ، انه مجرد أحفور عادى ٠ لدى كثير مثله فى هامبورج ٠

ـ ولكن ألا ترى اذن ، أن ٠٠

ـ أجل ، أرى بالضبط ما تقصده ٠ لقد تركنا الصخور البركانية واللافا الصلبة من تحتنا، ومن المحتمل

---

(١) ومفردها أحفـــور : البقايا المتحجرة لحيوان أو نبـات من الأزمان القديمة ٠

أننى اتخذت الممر الخطأ ، ولكنى سأتأكـــد من خطئى فقط عندما أصل الى نهاية هذا الممر ·

فقلت :

ــ ربما تكون على صواب يا عمى ، ويجب على أن أوافقك · ولكن لا تنس أن أمامنا خطرا داهما ، خطرا يزداد كل لحظة ·

ــ وما هو ؟

ــ لقد كادت المياه التى معنا تنتهى ·

فقال عمى :

ــ اذن يجب أن نشرب أقل ·

وهذا ما اضطررنا اليه بالفعل · فالمياه التى معنا لا يمكن أن تكفى أكثر من ثلاثة أيام · رأيت ذلك عند العشاء ·

وفى اليوم التالى سرنا بدون أية كلمة · ولم يعــد الطريق يصعد عندئذ ، على الأقل كان ينحدر قليلا ·

وكانت الصخور لا تزال من نفس النوع · وعندما استمر بنا السير،اتضح أكثر أننا لم نكن نسلك الطريق الصحيح ، ولكن يبدو أن بروفسير ليدنبروك لم يلاحظ ذلك · كان يتوقع أحد أمرين : أما أن نعثر على ممـر جديد يهبط بنا مباشرة ، أو أن الطريق نفســه ينتهى ويوقفنا عن المسير · ولكن جاء المساء ، ولم يكن هناك أى تغيير ·

ويوم الجمعة بعد ليلة كنت فى حاجـة شديدة للماء ، بدأنا نشــق طريقنـا مرة أخرى فى الممر الضيق · وبعد مسيرة عشر ساعات ، لاحظت تغير لون الجدران · ورأيت صخورا سوداء تلمع · وحدث ولمست الحائط بيدى ، ولما رفعتها وجـدتها سـوداء تماما · فتمعنت فيها عن كثب · فعرفت أنه فحم !

ــ أنظر يا عمى ! انه فحم !

فقال عمى :

ــ نعم ، أعرف · وماذا يهم فى ذلك ؟ ·· لقد حان وقت العشاء الآن ·

وجهز هانز الطعام · وأكلت قليلا جدا · وشربت كمية من الماء القليل المخصص لى · وبعد ذلك رقدنا للراحة · ونام رفيقاى نوما هنيئا ، أما أنا فرقدت متيقظا حتى الصباح ·

وفى يوم السبت ، وفى الساعة السادسة صباحا انطلقنا فى السير مرة أخرى · وبعدها بعشرين دقيقة وصلنا الى كهف ضخم عرضه مائة قدم وارتفاعه خمسون قدما · وكانت الجدران مكونة من الفحم ، وسرنا فى هذا الكهف حتى المساء ، وكان طريقنا يمتد لا الى أعلى ولا الى أسفل · وكان من الواضح تماما ، رغم المسافة الطويلة التى مشيناها ، أننا لم نقترب أكثر من مركز الأرض · ولك أن تتخيل ضيق صدر عمى ·

وفى الساعة السادسة مساء ظهر حائط أمامنا · ولم تكن هناك أية فتحة شمالا أو يمينا ، أعلى أو أسفل · لقد وصلنا الى نهاية الطريق ·

فصرخ عمى قائلا :

ـ حسن ، انه لأمر طيب ! على الأقل عرفنا شيئا· عرفنا أن هذا هو الطريق الخطأ · لم يسلك ساكنوسيم هذا الطريق اطلاقا · وكل ما علينا أن نفعله الآن هو أن نعود الى المكان الذى رأينا فيه الطريقين ·

فقلت :

ـ أجل ، اذا كان لدينا القوة الكافية ·

ـ ولماذا لا تكون لدينا القوة الكافية ؟

ـ لأننا سوف لا يكون لدينا ماء غدا ·

وعندئذ أخبر هانز عمى أننا فى مساء يوم السبت وهذا موعد استلام نقوده للاسبوع الثانى ·

وقررنا أن نبدأ فى أقرب وقت · فليس لدينا وقت لنضيعه ، ولأن هذا الطريق سيأخذ منا ثلاثة أيام على الأقل للوصول الى المكان الذى يتفرع فيه الطريقان

وكانت هذه الأيام الثلاثة فظيعة · فكما قلت وصلت المياه لآخرها فى مساء اليوم الأول · ولا يمكننى

وصف كم قاسينا من العطش · وفى أوقات كنت أشعر أننى لا أقدر على السير بتاتا · وسقطت أكثر من مرة · وكان علينا أن نتوقف ، وحاول عمى أو الأيسلندى أن يساعدنى · ولحسن الحـــظ فان معظم الطريق كان منحدرا · فكان من المستحيل على أن أتسلق ·

وأخيرا ، وفى يوم الأربعـــاء الثامن من يوليو ، وصلنا زاحفين على أيـــدينا وركبنـــا شبـــه ميتين من العطش ، ورأينا نقطة التقاء الممرين · كانت الساعة العاشرة صباحا · ولم أعد أقدر على الحركة اطلاقا · ورقدت هناك كأننى مت · وسقطت فى نوم عميق ·

وبعد قليل ، جاءنى عمى ورفعنى بين ذراعيـــه ، وقال فى صوت حنون :

ـ يا ولدى المسكين !

لم أسمع عمى يكلمنى مطلقا هـــكذا من قبل · فأخذت يده المرتعشة ، وأمسكت بها فى يدى · وتركنى أفعل ذلك وهو يتطلع الى ، والدموع فى عينيه · ورأيته يأخذ زجاجة الماء ويقدمها نحوى وهو يقول :

ـ اشرب !

كيف كان ذلك ؟ مـــاذا يعني ؟ هـل كان عمي مخبولا ؟ لم أستطع أن أفهمه · فقال ثانية :

ـ اشرب !

فأخذت الزجاجة وشربت · أجل ، انه ماء · كانت مجرد رشفة ملء الفم ، ولكنها كانت كافية لاعادة الحياة الى ·

وأمسكت بيدى سويا وأنا أشكر عمى · فقال :

ـ أجل · رشفة ماء ! الأخيرة ، هـــل تسمع ؟ الأخيرة · لقد احتفظت بها من أجلك ·· لقد قاومت نفسى من شربها مئات المرات · أجل يا أكسيل لقد احتفظت بآخر رشفة ماء لأجلك !

فقلت ، وقد اغرورقت عيناى بالدموع :

ـ أوه يا عمى !

ـ أجل يا ولدى المسكين ، عرفت انك عندمـــا

تصل الى نقطة التقاء الطرق ، سوف تسقط شبه ميت ، واحتفظت بهذا الماء الأخير لهذه اللحظة ·

فصرخت :

ـ شكرا ، شكرا !

وقلت :

ـ حسن ، هناك شيء واحد علينا أن نفعله ، وهو أن نعود ·

احتفظ عمي بعينيه بعيدا عني · **فصرخت قائلا :**

ـ يجب أن نعود ، ونبحث عن طريقنا الى سنيفيل · ربما تأتينا القوة الكافية للتسلق الى قمة الجبل !

فقال عمي ، وكأنه يحدث نفسه أكثر مما يحدثني ·

ـ نعود ؟

ـ أجل ، نعود دون أن نضيع لحظة أخرى ·

ولبرهة لم يتكلم أحد منا · ثم قال البرونسير فى صوت غريب :

ـ حسن اذن يا أكسيل، فرشفة الماء هذه لم تجعلك أكثر شجاعة !

ـ أراك مازلت بلا أمل ·

فصرخت :

ـ ماذا ! هل تقصد أن تقول انك لست راغبا فى محاولة الرجوع ؟

فاجاب عمى :

ـ هل أستسلم وألغى الرحلة فى نفس اللحظة التى يعدنا فيها كل شىء بالنجاح ؟ أبدا !

ـ اذن يجب أن نستعد للموت !

ـ لا يا أكسيل ، لا ! ابدا فى الرجوع ! وليرجع معك هانز · واتركنى هنا !

ـ اتركك هنا ؟!

ـ أجل ، أقول لك ،اتركني هنا • لقـــد بدأت الرحلة ، وسوف أنهيها والا فلن أعـــود أبدا • اذهب يا اكسيل ، اذهب !

كان عمى متأثرا جدا ، وصوته الذى أصبح حتونا ناعما للحظات تحول الآن الى صوت جامد حانق • كان يحارب مع نفسه ضـــد المستحيلات • ولا أستطيع أن أتركه هنا بمفرده •

ونظر المرشد الينا معظم الوقت بدون اظهـــار أى اهتمام • لقد فهم ما كان يدور بيننا ، فحركاتنا بينت له أن كل واحد منا يحاول أن يقنع الآخر بأن يسلك الطريق المختلف • لم يكن الأمر بالنسبة لهانز يختلف فيمـا سوف نقرره •• وكان مستعدا أن يذهب اذا أشار له عمى بأن يذهب ، وكان مستعدا أن يبقى اذا رغب عمى فى ذلك •

كم أردت أن أتكلم معه وأجعلـــه يفهمنى ! علة ينضم الى فى اقناع البروفسير بالعودة • فذهبت اليه ، ووضعت يدى على يده ، فلم يتحرك • وأشرت الى طريق

العودة الى الفوهة ، فلم يتحرك . حاولت ان أسحبه . فهز الايسلندى رأسه بلطف ، وأشار بهدوء الى عمى وقال :

ــ السيد !

فصرخت :

ــ السيد ! أنه ليس سيد حياتــك . يجب أن نعود ، ويجب أن نجعله يعود معنا . هل تفهم ؟

وامسكت بذراعه ، وحاولت أن أجعله ينهض .

ولكن عمى قال :

ــ اهدأ يا أكسيل ! انك لن تستطيع عمل أى شىء مع هذا الرجل . اسمع اذن ، لما أقوله لك .

فنظرت الى عمى فى وجهه مباشرة ، فقال :

ــ أن الحاجة للماء هى الشىء الوحيد الذى أوقفنا . أننا لم نعثر على الماء اطلاقا فى هذا الممر الشرقى المكون

من لافا وفحم وصخور أخرى . ومن الممكن ان نكون أفضل حظا اذا سرنا فى الممر الغربى !

فهززت رأسى ..

ـ اسمعنى للنهاية . أثناء رقادك هناك بلا حراك ، فعلت ما كان يجب على أن أفعله . ذهبت لفحص الممر . انه يؤدى الى قلب الأرض مباشرة ، وفى خلال ساعات قليلة سوف نصل الى الصخور التى بها ماء يتفجر منها . انه الطريق الذى سلكه ساكنوسيم . لقد كان فى حاجة للماء مثلنا . لا بد أنه عثر على الماء . أين وجده ؟ سنرى .. والآن ، هذا ما سوف أقوله . عندما كان كولمبس فى طريقه لاكتشاف بلاد جديدة كان رجاله يريدون العودة ، فطلب منهم أن يستمروا فى طريقهم ثلاثة أيام أخرى . فوافقوا ، واكتشف العالم الجديد . اننى كولمبس هنا ، واطلب منك أن تمنحنى ، لا ثلاثة أيام أخرى ، بل يوما واحدا فقط . واذا لم نكتشف ماء

فى هذا اليوم ، فاعدك بأننا سنعود الى المكان الذى بدأنا منه ٠

ولم أستطع الا أن اشعر بحسن منطقه ، فقلت :

ـ أوافق . وأدعو الله أن يكافئك على قوة عقلك ، وتحملك ٠ وليس أمامنا الا ساعات قليلة لاثبات صحة نظريتك ، لذلك . فلنبدأ فى الحال !

الفصل التاسع

مزيد من الهبوط

سلكنا طريقنا هابطين فى الممر الجديد · وسار هانز فى المقدمة كالمعتاد · ولم نقطع سوى مائة خطوة عندما ألقى البروفسير ضوء مصباحه على الجدار **وقال :**

ـ انها الصخور الصحيحة ، اننا لم نخطىء هذه المرة · الى الأمام ! الى الأمام !

وحتى الساعة الثامنة مساء لم نعثر على أى أثر للماء · وبالرغم من تعبى الشديد ، سرت ، وواصلت السير بكل ما فى وسعى من قوة ، ولم أرغب فى أن أجعل عمى يتوقف ·

وفى النهاية لم تعد لدى أية قوة **فصرخت :**

ـ اننى أموت ! تعال الى ٠

ثم سقطت ممددا على الأرض ٠ ورجع عمى ونظر الى ، **ثم سمعته يقول :**

ـ هذا ينهى الرحلة ٠

ورأيته يقوم بحركة غاضبة ، ثم أغلقت عينى ٠٠ وعندما فتحتهما مرة أخرى ٠ رأيت رفيقى راقدين بلا حراك ٠ هل كانا نائمين ؟ ٠٠ أما بالنسبة لى . فلم أستطع أن أحصل على لحظة نوم واحدة ٠

كنت أعانى كثيرا ٠ وعرفت ، أيضا ، انه لا يوجد ما يمكن فعله ، ولا شىء يمكن أن يساعدنا ٠

وفكرت مثل عمى :

ـ هذا ينهى الرحلة ٠

ولأنه لا مجال للعودة الآن ، وستة أميال صلبة من الصخر تحول بيننا وبين العالم الذى من فوقنا ٠٠٠ يبدو أننى بدأت أشعر بثقلها ٠

ومرت بضع ساعات · ولم أسمع أى صوت ···
ولا يمكن لأى صوت أن يصلنا من بين هذه الجدران ·

ومع ذلك ، خيل لى حينئذ أنى سمعت صوتا · كان الظلام يلف الممر ، ولكن بعد تدقيقى النظر رأيت الأيسلندى يغادرنا ، والمصباح فى يده ·

لماذا ذهب ؟! ·· هل كان هانز سيتركنا فعلا ؟ وكان عمى نائما · وحاولت أن أنادى ، ولكن صوتى لم يخرج من حلقى · ثم عاد الظلام التام ، ولم أعد أسمع أى صوت · **فصرخت** :

ـ لقد تركنا هانز ! ·· هانز ·· هانز !!

ولكن كانت هذه الكلمات فى داخلى فقط ، ولم تخرج من فمى مطلقا · وفى اللحظة التالية شعرت بالخجل من نفس لشكى فيه · فاذا كان قد تركنا ، فلا بد أن يكون من أجل سبب هام · لم يكن سائرا جهة الصعود ولكن جهة الهبوط · فكانت هذه علامة طيبة لا علامة سيئة · وهدأت هذه الأفكار من احساسى

بالقلق .. ثم جاءتنى أفكار أخرى . ما هو السبب لذهابه هكذا ؟ هل سمع شيئا لم يسمعه عمى ولا أنا ؟

ولمدة ساعة كاملة كنت أحاول أن أتخيل لماذا غادرنا هانز ، وماذا يفعل . وخطرت فى رأسى أكثر الأفكار حماقة ، وظننت أننى سأجن .

وأخيرا سمعت صوت أقدام فى أعماق الممر . وكان هانز عائدا . وبدأ الضوء يلمع على الجدران ثانية ، وظهر هانز . واتجه الى عمى ، ووضع يده على ذراعه وأيقظه بلطف . فجلس عمى وسأل عن الأمر . **وأجاب المرشد :**

ــ « فاتين »

ورغم أننى لا أعرف اللغة الدنماركية الا أنى **فهمت** فى الحال ما يعنى . **وصرخت :**

ــ ماء ! ماء ؟!

وقال عمى :

ــ ماء !

ثم سأله :

ـ هفار ؟

فأجاب هانز :

ـ نيدات !

وفهمت كل كلمة :

ـ أين ؟ تحت !

فأمسكت بيدى المرشد وضغطت عليهما ، ولكنه نظر الى بهدوء تام . وفى الحال تأهبنا ، ثم هبطنا الممر . وفى خلال ساعة كنا قد هبطنا ٢٠٠٠ قدم . وعندئذ سمعت صوتا غير عادى لشىء داخل جدران الصخر . ماذا كان هذا ؟

وعدت أفقد الأمل ثانية ، عندما سرنا لمدة نصف ساعة أخرى ولم يظهر الماء . ولكن عمى قال لى أن هانز لم يكن مخطئا ، وأن الصوت الذى سمعناه هو صوت جريان الماء ، **وقال :**

ـ انه نهر .

ـ نهر ؟!

ـ نعم ، لا شك فى ذلك · نهر جوفى يجرى بجانبنا مباشرة ·

وسرنا بسرعة أكثر ··· وجعلنى صوت الماء أشعر بتحسن ··· وازداد الصوت وارتفع ··· وتوقعت فى كل لحظة أن أرى الماء يتفجر ·

ومرت نصف ساعة أخرى ، وثلاثة أميال أزيد ·· وكان من الواضح أن هانز لا يمكن أن يكون ذهب أبعد من ذلك عندما غادرنا · وأصبح من الواضح أيضا ، أننا اذا واصلنا السير فلا بد أننا سنبتعد عن الماء ، لأن الصوت بدأ ينخفض ··· لذلك عدنا ···

وتوقف هانز عند المكان الذى يبدو أن الماء قريب منه · وجلست بجانب الجدار ، وكان الماء يندفع بقوة عنيفة على بعد لا يزيد عن قدمين منى ، ولكن بيننا الجدار الصخرى · وبدلا من التفكير فى أفضل شىء نفعله ، فقدت الأمل مرة أخرى ···

ونظر الى هانز وخيل لى أنه ابتسم · وأخذ المصباح وسار ، فتبعته · وذهب الى الجدار ووضع رأسه عليه ليسمع ، ثم تحرك الى أماكن مختلفة وأخذ يسمع · كان يحاول أن يجد المكان الذى فيه أعلى صوت للماء · وأخيرا يبدو أنه وجده فى الجدار الجانبى جهة اليســـار على ارتفاع ثلاث أقدام من الأرض ·

وأحسست باثارة شـديدة · ماذا سيفعل ؟ لم أستطع التخمين ! · ولكننى بدأت أفهم عندمـا رفع معوله ، وضرب الصخرة · فصرخت :

ــ نجونا !

فصرخ عمى بسعادة غامرة :

ــ أجل ! هانز على حق ! انه رجل بارع ! اننا لم نفكر فى ذلك أبدا !

حقا ، لم تكن تخطر على بالنا مثل هــذه الخطة البسيطة · ومع ذلك بدت أنها خطة خطرة ··· فلنفرض أن الممر قد امتلأ ، ودفننا ، وماذا لو تفجر هذا النهر وجرفنا بعيدا ؟

لا يهم ... يجب أن نحصل على الماء .

لقد قام هانز بالعمل ، لا عمى ولا أنا . لا بد آننا عجولان . ولكن المرشـد كان هادئا تماما ونحت الصخرة بالتدريج الى أن كون فتحة باتسـاع ست بوصـات تقريبا . واستطعت أن أسمع خرير الماء وتخيلت أننى شربت بالفعل .

وأصبح عمق الفتحة قدمين ، حيث أن هانز قد عمل ما يزيد عن ساعة . وانتظرت بصبر نافد ، وكان عمى أكثر منى نفاد صبر . وفجأة انفجر جدول ماء نحونا باندفاع عظيم فضرب فى الجدار المقابل .

فأعطى هانز صرخة ألم ، حيث أنه وقع على ظهره ، أو كاد من هول الصدمة ، ولكنى فهمت السبب فورا ، لأننى صرخت أيضا من الألم ، عندما اكتشفت ، بوضع يدى فى الماء انه كان يغلى . **فصرخت :**

ــ انه ماء ساخن !

فقال عمى :

ــ لا يهم ، فسيبرد .

وامتلأ الممر بالبخار ، وتكون مجرى ، وبدأ يجرى هابطا النفق . واستطعنا بعد ذلك أن نتناول أول شربة ماء .

كيف لى أن أصف هذه اللحظة المدهشة ؟ يستطيع فقط هؤلاء الذين قاسوا بشدة من العطش لعدة أيام ، أن يدركوا شعورنا . أوه ، كم كان جميلا أن يشرب الانسان ! كان لا يهم ما هو نوع هذا الماء ، ولا من أين جاء . انه ماء وكفى ، وبالرغم من أنه ما زال دافئا ، الا أنه أعاد الحياة لنا . وشربته بدون توقف ، وحتى بدون تذوق .

ولكن بعد قليل صرخت قائلا :

ـ لماذا ، فيه طعم الحديد !

فقال عمى :

ـ رائع ، مفيد للصحة !

ـ أوه ، انه طيب ، أليس كذلك ؟

ـ أجل ، لا بد أنه طيب ، أيضا · انه ماء يأتى من ستة أميال تحت الأرض ! ان له طعم الحديد ، لكنه طعم مقبول أوه ، انه حقا لماء مدهش ، والذى اكتشفه لنا هانز ، لذلك سوف نطلق اسمه على جدول الماء الصحى هذا ·

فقلت :

ـ نعم ، بالتأكيد ·

وسمى هذا النهر فى الحال « هانز باخ » ومعناه مجرى هانز ·

ولم يكن هانز فخورا بذلك مطلقا · وجلس فى الركن بهدوئه المعهود ، **فقلت :**

ـ والآن ، يجب ألا ندع هذا الماء يجرى هكذا ·

فسألنى عمى :

ـ وما السبب ؟ انه سيظل يجرى على الدوام · انه لن يتوقف ·

فقلت :

ـ دعنا نملأ ما لدينا من زجاجات ، ثم نحاول سد الفتحة .

وقمنا بتنفيذ نصيحتى ، وحاولنا سد الفتحة بالحجارة وبعض الحبال . ولكن ذلك لم يكن سهلا . كان الماء الساخن مؤلما جدا بالنسبة لأيدينا ، وفى النهاية لم تفلح ، فالضغط كان عظيما ، **فقلت :**

ـ من الواضح أن الماء لا بد أنه يأتى من مرتفع بعيد ، اذا حكمنا بالقوة التى يندفع بها .

فأجاب عمى :

ـ لا شك فى هذا . ولكنى عندي فكرة .

ـ ما هى ؟

ـ لماذا نحن قلقون لاغلاق الفتحة .

ـ **لأن ...**

وهنا توقفت لأننى لم أجد سببا سهلا .

فاستطرد عمى قائلا :

ـ عندما تفرغ زجاجاتنا ثانية ، فما الذى يؤكد لنا أننا سوف نقدر على ملئها مرة أخرى ؟

ـ صحيح ٠

ـ اذن ، فلندع المجرى يجرى بشكل طبيعى ٠ وسيصبح دليلنا الى الطريق ،وسيعطينا الماء كلما نريد٠

فصرخت :

ـ انها لفكرة رائعة ، ومع هذا المجرى كرفيق لنا ، فلا يوجد عذر فى عدم نجاحنا ٠٠

فقال البروفسير ضاحكا :

ـ آه ! لقد عدت الى تفكيرك الصائب يا ولدى ٠

ـ حقا ! لقد عاد الى صوابى ٠ فلنبدأ ٠

فقال عمى :

ـ ليس بعد ، يجب أن نرتاح بعض الوقت ٠

لقد نسيت أننا كنا فى الليل ٠٠٠ وبعد أكلة طيبة كان ثلاثتنا فى سبات عميق ٠

وفى اليوم التالى كنا قد نصينا ما عانيناه . واندهشت عندما استيقظت لأنى لا أشعر بالعطش وأجاب على اندهاشى جدول الماء الجارى عند قدمى .

تناولنا الافطار ، وشربنا من هذا الماء الطيب . وشعرت بأنى سعيد جدا . لماذا لا ينجح رجل مثل عمى ، ولديه مرشد مثل هانز ، ورفيق مثلى ؟ .. الآن اذا تحدث أحد عن الرجوع الى سنيفيل ، لرفضت غاضبا .

كل ما علينا أن نفعله ، هو أن نستمر فى الهبوط . وصرخت قائلا :

ـ هيا بنا ! فلنبدأ !

وهكذا استأنفنا المسير ، فى يوم الخميس التاسع من يوليو فى الساعة الثامنة صباحا . وكان الممر ينحنى يمينا ويسارا ، فنظر عمى فى بوصلته مرات كثيرة ليتأكد من الاتجاه الذى نسير فيه . كان هذا الممر ، أو الطريق ، لا يكاد ينحدر . وكان الجدول يجرى عند أقدامنا . وكان عمى فاقد الصبر ، بالطبع .. اذ كان يرغب فى أن يرى الطريق مستمرا فى الهبوط .

وقطعنا مسافة طويلة فى ذلك اليوم واليوم الذى يليه ، ولكن بدون هبوط كثير . وفى يوم الجمعة ، العاشر فى يوليو ، كنا قد قطعنا خمسة وثمانين ميلا نحو الجنوب الغربى لريكيافيك ، وبعمق سبعة أميال .

وفجأة ظهرت أمامنا فتحة كبيرة ، لا يبدو لها قرار . كان منظرها مخيفا فى الحقيقة ، ولكن عمى كان فى غاية السعادة ، عندما رآها ، وصرخ :

ــ رائع ! انها ستأخذنا مسافة طويلة ، ولن نجد أية مشكلة ، فالصخور بارزة من الجوانب تماما كالسلالم .

وأعددنا الحبال مثلما فعلنا من قبــل ، وبدأنا الهبوط . ولم يكن صعبا ولا خطرا ، ولقد تعودت على هذا النوع من العمل . وكانت الدرجات تبدو عادية وكأنها قد وضعت عن قصد .

وكل ربع ساعة كنا نقف لراحة قصيرة . وكنا نجلس ، نأكل ونتكلم ، ونشرب الماء من الجدول الذى

أصبح عندئذ كالشلال فى معظم الأماكن . كان ينساب بعنف ، بشكل يذكرنى بعمى عندما يكون غاضبا ، وعندما كان يجرى بهدوء ، فكان يذكرنى بالأيسلندى !

وفى الحادى عشر والثانى عشر من يوليو ، كنا ما زلنا نهبط على هذه السلالم الطبيعية ، وعند مساء الثانى عشر ، كنا قد قطعنا ستة أميال عمقا . وكنا عندئذ على حوالى خمسة عشر ميلا تحت سطح الأرض ، ولكن فى اليوم التالى لم يعد الممر بنفس الانحدار ، رغم أنه لا يزال فى اتجاه الجنوب الشرقى . وأصبح الطريق أسهل ، ولكنه أقل متعة . وسرنا فى هذا الطريق ساعات طويلة .

فى يوم الأربعاء الخامس عشر ، كنا على عمق واحد وعشرين ميلا تحت الأرض ، ومائة وخمسين ميلا من سنيفيل . ورغم أننا كنا متعبين ، الا اننا كنا فى صحة ممتازة .

وكان عمى يدون تفاصيل الرحلة كل ساعة : من تاريخ ، وتوقيت مضبوط ، ودرجة حرارة ، وعمق ، واتجاه . وبهذه الطريقة كنا نعرف دائما أين نحن .

وعندما قال لى أننا قد سرنا مائة وخمسين ميلا جنوب غرب ، شعرت ببعض الاندهاش **فقلت له :**

ـ عمى !

ـ نعم يا ولدى !

ـ كنت أفكر ! ان كنت على صواب ، فنحن لم نعد تحت أيسلنده ٠

ـ هل تعتقد ذلك ؟

ـ يمكننا أن نعرف ذلك ٠

وأخذت الخريطة وقمت ببعض القياسات ، فوجدت أننى كنت على حق ٠

فقلت :

ـ لقد اجتزنا كيب بورتـلاند ، ونحن الآن فى عرض البحر بمائة وعشرين ميلا ٠

فقال عمى :

ـ رائع ٠

– اذن فالبحر من فوقنا !

لم ير البروفسير ما يدهش فى هذه الحقيقة ولكن ذهنى كان مشغولا بهذه الفكرة. ومع ذلك ،فما هو الفرق اذا كانت جبال أيسلنده أو أمواج المحيط الأطلسى من فوق رؤسنا ؟ ان الوضع هو نفسه بالنسبة لنا ، لأن كل ما كنا نستطيع أن نراه هو الصخر الصلد الذى نمر من خلاله . وبدأت أعتاد على فكرة أن الممر سيؤدى بنا سواء أكان يمتد باستقامة أم ينحرف يمينا أم يسارا ، الى مركز الأرض .

وبعد أربعة أيام ، فى يوم السبت ١٨ يوليو ، وصلنا ليلا الى كهف كبير ، فاتفقنا على أن يكون اليوم التالى يوم راحة .

ولذلك استيقظت فى الصباح التالى ، دون الاحساس المعتاد بضرورة الاسراع للبدء فى السير فى الحال . وبالرغم من أننا كنا فى أعماق الأعماق ، الا ان الوضع لم يكن كئيبا . وأصبحنا نستمرىء هذا النمط من الحياة تحت الأرض . ولم أعد أفكر فى الشمس ،

أو النجوم ، أو القمر ، أو الشجر ، أو المنازل ، أو المدن ..

وكان ينبوع الماء يجرى فوق القاع الصخرى للكهف ، ولا يزال ساخنا مع هذه المسافة التى قطعها من حيث تفجره من الصخر .

وقرر البروفسير بعد الافطار ، أن يقضى بعض الوقت فى فحص وترتيب أوراقه . وقال :

ـ أولا ، سوف أحاول اكتشاف المكان الذى نحن فيه . لأننى أود ، عندما أعود ، أن أعمل خريطة لرحلتنا .

ـ سيكون ذلك من الاشياء القيمة ياعمى ، لكن هل يمكنك عملها بدقة متقنة ؟

ـ أجل ، لقد لاحظت كل شىء بعناية ، وسجلت كل شىء ، حتى درجات الانحدار ، اثناء الطريق ، واتجاهاته . لقد قطعنا الآن ٢٥٥ ميلا من نقطة البدء و ٤٨ ميلا عمقا .

ـ ٤٨ ميلا عمقا ؟

ـ نعم ، ولا شك فى ذلك ٠

ـ ولكن ، طبقا للعلم ، فان طبقة الأرض الصلدة هى ٤٨ ميلا فقط ٠

ـ أجل ٠ وماذا فى ذلك ؟

ـ اذا كانت الحرارة تزداد درجة واحدة فى كل ٧٠ قدما ، فلا بد أن تكون الحرارة هنا ١٥٠٠ درجة !

ـ لا بد يا ولدى ٠

ـ ولكن لا بد عند هذه الحرارة أن تذوب الصخور وتجرى مثل الماء ٠ ولا يمكن أن تكون فى حالة صلبة ٠

ـ ولكنها فى حالة صلبة ، كما ترى ، ولا يوجد أى أساس من الصحة فى الاعتقاد بأن مركز الأرض حار وملتهب ٠

ـ اننى أعترف بذلك ، ولكننى مندهش جدا له ٠

ـ ما هى قراءة الترمومتر أمامك ؟

ـ سبع وعشرون وستة أعشار درجه ٠

ـ أذن لقد كان همفرى دافى على حق كما ترى ، وكنت على حق أن أصدقه ٠

فقلت :

ـ عمى ، ان ما قلته لا غبار عليه ، ولكن هناك حقيقة واحدة لها أهمية قصوى ، ويجب ألا تنساها ٠

ـ وما هى يا بنى ؟ تكلم بحرية ٠

ـ ان المسافة بين أيسلنده ، ومركز الأرض هى : ٤٧٥٠ ميلا ٠

ـ تمام ٠

ـ فلنقل ٤٨٠٠ ميل ٠٠ ولقد قطعنا منها حتى الآن ٤٨ فقط !

ـ أجل ٠

ـ ولقد مشينا مسيرة ٢٥٥ ميلا لنصل الى هذا العمق ٠

ـ تمام

ـ فى حوالى عشرين يوما ؟

ـ فى عشرين يوما بالكمال ·

ـ والآن ٤٨ ميل هى جزء واحد فى المائه من ٤٨٠٠ ميل · فاذا واصلنا السير بهذا المعدل ، فستأخذ الرحلة منا ٢٠٠٠ يوم ، أو حوالى خمس سنوات ونصف !

ولم يجب عمى ·

فاستطردت مرة اخرى قائلا :

ـ ثانيا : كان علينا أن نسير ٢٥٥ ميل فى طرق جانبية لنهبط ٤٨ ميلا ، ولذلك ، فعلى هذا المعدل ، علينا أن نسير ٢٤٫٠٠٠ ميل · انه لطريق طويل لمركز الأرض !

فقال عمى بغضب :

ـ كيف تعرف أن ارقامك صحيحة ؟ وما الذى يدريك أن باقى الرحلة ستكون مثل الأيام العشرين الأولى ؟ ومن يدريك ، لعل هذا الممر يؤدى بنا مباشرة

الى مركز الأرض ؟ علاوة على أن ما نقوم به ، قد قام به واحد من قبلنا ، والذى نجح فيه سوف ننجح فيه نحن أيضا ·

ـ آمل ذلك ، ولكن على الأقل اسمح لى أن ···

ـ لا تقول المزيد يا اكسيل ، اذا كنت ستتكلم بهذه الطريقة الحمقاء ·

ورأيت عمى اللطيف ، يتحول الى البروفسير الفظيع ، ورأيت أنه من الأفضل ألا أزيد ·

وقال :

ـ والآن ، أنظر الى البارومتر · ماذا يبين ؟

ـ ضغط ثقيل ·

ـ حسن ، فكما ترى أننا بهبوطنا التدريجى ، بدأنا نعتاد على وزن الهواء · وأصبح لا يشكل لنا أية مشكلة ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، الا فيما عدا وجع فى الآذان ·

ـ هذا لا شيء ، وسيذهب فورا لو تنفست بسرعه لمدة دقيقة ·

فقلت :

ـ هذا صحيح ، بل انه من الممتع التنفس فى هذا الهواء الثقيل · هل لاحظت صفاء الصوت ونقاوته بشكل مدهش ·

ـ نعم ، لاحظت ذلك

ـ وسيزداد الهواء ثقلا ، كلما هبطنا ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، سيكون هناك اختلاف فى وزن الأشياء · فعلى سطح الأرض يكون وزن الأشياء أثقل ، أما فى مركز الأرض فلن يكون لها وزن على الاطلاق ·

ـ اذن يا عمى ، سيصبح الهواء عند عمق معين فى ثقل الماء !

ـ أجل ، سيصبح هكذا

ـ واذا هبطنا أكثر !

ـ سيزداد ثقلا ٠

ـ وكيف سنقدر على أن نهبط من خلاله ؟

ـ حسنا ، لا بد أن نضع أحجارا فى جيوبنا !

كان عمى حاضر الاجابة على كل شىء ٠٠٠ ولكن الجلى أن الهواء عند عمق معين سيكون صلدا ، ولا أتخيل نفسى سائرا عبر هواء صلد ٠ ولكن لا داعى لتذكير عمى بذلك ، والا فسوف يغضب ويثور مرة أخرى ، وربمـا يتحدث عن سـاكنوسيم ٠ ساكنوسيم ! ان البارومتر لم يكن قد تم اختراعه بعد ، فكيف استطاع أن يعرف أنه وصل الى مركز الأرض ؟

الفصل العاشر

الضياع

وفى صباح الاثنين أقلعنا مرة أخرى ...

واستمر الطريق لعدة أيام ينحدر انحدارا شديدا ، لدرجة أننا كنا نمشى ببعض الصعوبة . وقطعنا بضعة أميال من أربعة الى ستة أميال فى بضعه أيام . وكان هانز مفيدا لنا جدا ، ففى الحقيقة ، لا أعرف كيف كنا سنفعل بدونه .

ولم يحدث شىء غير عادى خلال الأسبوعين التاليين لآخر حديث لنا . وفى السابع من أغسطس

كنا قد قطعنا تسعين ميلا تحت سطح الأرض ، ولا بد أننا كنا على بعد ستمائة ميل عن أيسلنده ·

من ذلك اليوم ، لم يكن الممر منحدرا على الاطلاق · وكنت أسير امام الآخرين مع مصباحى ، وفجأة وأنا التفت خلفي ، وجدت نفسى بمفردى · **ففكرت :**

ـ لعلني أسرعت فى المسير ، أو لعل عمى وهانز قد توقفا لبرهة فى الطريق ··· يجب أن أعود اليهما · ولحسن الحظ فالطريق ليس منحدرا ·

وسرت راجعا من نفس الطريق · وبعد ربع ساعة نظرت من حولى ولم يكن يوجد هنـــاك أحد على مرمى بصرى · فناديت ·· بلا مجيب !

وبدأت أشعر بالخوف ·· **وقلت لنفسى بصـوت مرتفع :**

ـ اهدأ ، فأنا متأكد من أننى ســاعثر عليهما ثانية · فليس هناك ســوى طريق واحد ·· وكنت سائرا فى المقدمة ، لذا يجب أن أستمر فى الرجوع ·

ورجعت ، وبعد نصف ساعة من الهرولة وقفت ، وأنصت لأسمع أى واحد منهما ينادينى ، فلم أسمع أى صوت أو نداء ٠

ووقفت ٠٠٠ ولم أصدق أننى أصبحت بمفردى فعلا ٠ لقد ضيعت طريقى ، يجب أن أجد طريقى ثانية بعد فترة ، وأخذت أقول لنفسى :

ـ لا يوجد الا ممر واحد ، وطالما أنهما فيه .. فلا بد أنى سأراهما حالا ٠ ما على الا أن أستمر فى السير ٠ الا اذا لم يريانى ، ونسيا أننى فى المقدمة ، وسارا للخلف ليبحثا عنى ٠ ولكن حتى لو كان الأمر كذلك ، فسأسرع وسوف ألحق بهما ٠٠٠ هذا واضح ٠

قلت هذه الكلمات الأخيرة ، مثل رجل غير متأكد مما يقول ، وقضيت وقتا طويلا فى ترتيب أفكارى مع بعضها ، بشكل معقول وواضح ٠

ثم ساورنى شـك ٠ هل كنت أمام رفيقى فعلا عندما رأيتهما آخر مرة ؟ بالتأكيد كنت أمامهما ، وكان هانز يتبعنى ، وجاء عمى بعدى ، حتى أنه توقف قليلا

ليربط حمله على كتفه . تذكرت هذا بوضوح . وبعد تلك اللحظة نفسها ، سرت فى المقدمة قليلا . وفكرت :

ـ علاوة على أننى من المستحيل أن أسير طويلا ، وأنا على خطأ ، لأن معى دليلا يقـودنى ولا يتركنى أبدا .. هو جدول الماء . على فقط أن أتبعه عائدا ، وسأعثر على رفيقى لا محالة .

وشـد هـذا التفكير من أزرى وجعلنى أشـعر بالشجاعة مرة أخرى ، وقررت أن أبدأ السير فى الحال ، بدون أن أضيع لحظة واحدة .

كم كنت شاكرا لحكمة عمى عندئذ ، لأنـه لم يسمح لهانز أن يسد الفتحة ، التى تفجرت منها المياه أول مرة ! فالجدول هو دليلى حاليا عبر الممرات التى تحت الأرض .

وفكرت قبل أن أبدأ السير ، أن أغتسل ، لأشعر ببعض الانتعاش . وانحنيت لأضع يدى فى المجرى ، ولكن تخيل كم كنت مندهشا وفزعا ! لقد لمست صخرا جافا . لم يكن الجدول يجرى تحت أقدامى !!

لا أستطيع أن أصف حالة ذهنى المضطرب • لقد دفنت حيا ، لا بد أن أموت فى النهاية من البرد . والجوع ، والعطش •

مررت يدى فوق الأرض • كم كانت الصخور جافة ! لكن هل يمكن لى ان أترك حوض المجرى ؟ فهو بالتأكيد ليس هنا • وفهمت سبب هذا الهدوء الغريب ، عندما أنصت آخر مرة لنداء من رفيقى • ولم ألحظ . حتى هذه اللحظة أن الجدول غـير موجود • كان من الواضح ، أنه منذ أن أخذت الخطوة الأولى فى الاتجاه الخطأ ، لا بد أن النفق قد انقسم قسمين ، ولقد تبعت الفتحة الجديدة ، بينما الهانز باخ قد تبع القسم الآخر ، وسار مع رفيقى فى اتجاه أعماق غير معروفة • كيف لى أن أعود ؟ لا يوجد ما يرشدنى ، ولا حتى خطواتى • وأخذت أفكر واستغرقت فى التفكير ، لعلى أجد طريقة ما ، لانقاذ نفسى • ولكن لا ! لقد ضعت !

نعـم فأنا تائه فى عمق بدا لى عظيما ، بدرجـة لا يمكن أن تقاس ، ولا حتى أن يجدى التفكير فيها •

وحاولت أن أعيد أفكارى ثانية الى العالم العلوى ، ولكننى لم أستطع · هامبورج ، المنزل الذى أعيش فيه ··· ومر كل العالم التحتى الذى ضيعت فيه طريقى ، أمام ذاكرتى بسرعة · فرأيت كل أحداث رحلتنا ··· السفينة وابحارنا فيها ، آيسلنده ، مستر فريدريكسون ، سنيفيل ! وقلت لنفسى من الحماقة أن يكون عندى أى أمل ، ومن الأفضل أن أستسلم ·

ما الذى يعيدنى ثانية الى سطح الأرض ؟ من يستطيع أن يوجهنى الى الممر السليم ثانية ، ويجعلنى ألتحق برفيقى ؟ **واخذت أصرخ :**

ــ عمى ! أوه عمى !

وأنا أعرف كم يقاسى المسكين وهو يبحث عنى بلا نجاح ·

وعندما رأيت نفسى مقطوعا عن أى مساعدة ، وعن رفيقى وغير قادر أن أفعل أى شىء لنفسى ، فكرت فى مساعدة من الله · وعادت الى ذكريات أمى ، التى

لقد ضعت . . !

عرفتهـا فى الأيام الحلوة عندما كنت صـغيرا جدا ٠ وبدأت أدعو الله ٠

وجعلتنى صرخة الاسترحام هذه هادئا ، واستطعت أن أستجمع عقلى لأفكر فى موقفى الحقيقى ٠٠٠ كان لدى طعام وماء يكفى ثلاثة أيام ٠ وسيكون من الحمق أن أبقى طويلا حيثما كنت ٠٠٠ ولكن أى طريق أسلك ؟ هل أصعد أم أهبط ؟

فلأصعد بالطبع ٠٠٠٠ وأحافـظ على الصـعود دائما ٠ لا بد أننى سوف أصـــل بالتأكيد الى نقطة انفصال الممر ، وسأعثر على المجرى ثانية ، وبذلك أستطيع أن أعود الى سطح الأرض ٠

كيف لم أفكر فى ذلك من قبل ؟ فامكانية الهروب كانت واضحة ٠ وما كان على الا أن أعثر على هانزباخ ثانية ٠

ووقفت ، وبدأت أتسلق مرة أخرى ، وكان الطريق منحدرا بعض الشىء ، ولكننى واصـلت السير مفعمـا بالأمل مثل رجل لا خيار له فى الطرق التى أمامه ٠

ولم أجد أية صعوبة لمدة نصف ساعة · وحاولت أن أعثر على الطريق من شكل النفق ، وبعض الصخور ، وترتيب الشقوق · ولكنى لم أتذكر شيئا ، ورأيت على الفور أن هذا الطريق لن يقودنى الى المكان الذى أخطأت فيه الانحراف · ووصل نفقى الى نهايته ، ولم يعد هناك طريق ، واصطدمت فى جدار من الصخر وسقطت على الأرض ·

ما هذا الفزع الذى حل بى آنئذ ! ·· لا يمكننى وصفه · لقد تحطم أملى الأخير على هذا الجدار الصخرى ··· ضعت بين ممرات وصخور ، ولا جدوى من محاولة انقاذ نفسى ··· وكانت أمامى أعظم ميتة مخيفة ··· وحاولت أن أتكلم بصوت مرتفع ، ولكنى لم أستطع تكوين الألفاظ ··· وكدت لا أستطيع التنفس ·

وعندئذ انتابنى خوف جديد · لقد تلف مصباحى عندما سقطت · ولم أستطع اعادته كما كان ، وأصبح نوره يضعف ، وفى طريقه لأن يخبو · ولم أجرؤ على

تقفل عيني ، من خوفي أن أفقد آخر ضوء باق . وكل لحظة كان يبدو أنه سيخبو فيها ، ويتركني في ظلام حالك السواد .

وأخيرا لم يعد هناك الا أضعف نور ممكن ، فتطلعت اليه حتى لم أعد أرى أى شيء .

أية صرخة مفزعة تفجرت مني ! فعلى الأرض مهما كان ظلام الليل ، فهناك دائما بعض النور ، ربما نور فتطلعت اليه حتى لم أعد أرى أى شيء .

وفقدت عندئذ حواسى ... ونهضت على قدمى وذراعاى مفرودتان أمامى ، محاولا أن أتحسس طريقى ، ولكن كان فعل ذلك مؤلما . وأخذت أركض كالمجنون عبر الممرات ، وأنحدر أعمق فى قلب الأرض ، مناديا ... صارخا ... متخبطا بين الصخور ... ساقطا ناهضا ... متحسسا الدم النازف ... محاولا ارتشافه وهو يقطر من وجهى ... متوقعا دائما أن أواجه بجدار يصدم رأسى .

وفى أى اتجاه سرت ؟ هذا ما لا أعرفه ، ولن أعرفه أبدا ٠

وبعد عدة ساعات ٠٠ عندما خارت كل قواى تماما ، سقطت على الجدار ككتلة بلا حياة ، وفقدت كل وعى بأى شيء ٠

وعندما عدت الى وعيى ثانية ، كان وجهى مبتلا بالدموع ٠ ولا يمكننى القول كم من الوقت بقيت على هذا الحال ٠ فلم تعد عندى طريقة أحسب بها الساعات ٠ وليست هناك عزلة مثل عزلتى الفريدة من نوعها ٠٠٠ وبعد سقوطى فقدت كمية من الدم ٠٠٠ فشعرت بالضعف يسرى فى كل كيانى ٠

أوه ، كم كنت آسفا لأن الموت لم ياتنى بعد ٠٠ ! ولم أدع نفسي فريسة للتفكير ، فدحرجت نفسى بحالتى العاجزة ، باتجاه الجدار المقابل ٠٠٠ وكدت أحس بانى سأفقد الوعى مرة أخرى ، وفكرت برضا أن ذلك سيكون الى الأبد ٠ وفجأة سمعت ضجيجا عاليا ، كان كانفجار

رعد قاصف ، ثم خفت ، وتلاشى فى الأبعاد ، بصدى مخيف ٠

من أين جاء هذا الصوت ؟ لا شك فى مكان عميق تحت الأرض ٠ انفجار بعض الغازات ، أو سقوط بعض صخور الأرض ٠٠٠ وأنصت ثانية ، لعل الصوت يصدر مرة أخرى ٠ ومرت ربع ساعة ولم أسمع شيئا سوى دقات قلبى ٠

وفجأة سمعت بأذنى التى كانت تلامس الجدار صوت كلمات بعيدة ٠٠ كلمات لا معنى لها عندى ، ولكنها صوت كلمات ، ففكرت :

ـ انه خيالى ٠ أليس كذلك ؟

ولكن لا ! وأنصت بحرص وأرهفت سمعى ، فاستطعت سماع أصوات خافتة ، ولكننى كنت ضعيفا لأفهم ما قيل ، انما أيقنت بأن أحدا كان يتكلم ، فوضعت أذنى ثانية قرب الحائط ٠

أجل ! أجل ! انها أصوات بدون شك !

وزحفت مسافة بجانب الحائط فسمعت الأصوات بوضوح أكثر ··· انها كلمات لا معنى لها ، وكأن أحدا يغنيها بصـــوت منخفض · ووصــلت لأذنى كلمــة « فورلوراد » (١) · ماذا كانت تعنى ؟ من كان يقولها ؟ اما عمى أو هانز · ولكن ، اذا كنت قــد ســمعتهما فبالتأكيد يمكنهما ان يسمعانى !

فناديت بكل قوتى :

ـ هنا ··· هنا !

وأنصت ··· وأنصت لاجابة فى الظلام · ولكن لا جواب ·· لعل صوتى لم يصل لرفيقى · **فقلت :**

ـ انه صوتهما بالتأكيد ، فماذا سيفعل غيرهما هنا ، تسعون ميلا تحت الأرض ؟

وأنصت ثانية ··· ومع المحاولة على طول الجدار جهة الأمام وجهة الخلف ، وجدت مكانا كانت الأصوات تبدو فيــه أوضـــح واعلى · ووصــلت لأذنى كلمة

---

(١) كلمة دنماركية ، معناها « مفقود » ·

« فورلوراد » مرة أخرى ، ثم الجلبة العالية التى سمعتها من قبل · **فصرخت :**

ــ لا ! اننى لم أسمع الأصوات من خـلال هذا الصخر · فالجدار عبارة عن صخر صلد ، ولا يمكن أن تصدر فيه هذه الجلبة العالية · لا بد أن الصوت يأتى عن طريق الممر نفسه ·

وأنصت مرة أخرى · أجل ! لقد سمعت فى هذه المرة اسمى عبر الظلام ! انه عمى ··· كان يتكلم مع هانز بالطبع · وكلمة « فورلوراد » كلمة دانمركية ·

وأدركت كل شىء ·· ولأجعلهما يسمعانى ، ما على الا أن أتكلم وفمى ملاصق للجدار ، الذى سيحمل صوتى لهما ·

ولكن ليس لدى وقت لأفقده · لأنهما لو غـيرا الموقع الذى همـا فيـه ، حتى ولو لخطوات ، فربمـا لا يستطيعان سماعى · وذهبت بالقرب من الجدار**وقلت ببطء وبصوت مرتفع :**

ـ عمى ليدنبروك !

وانتظرت فى قلق · ان الصوت لا ينتقل بسرعة هنا ، فالهواء ثقيل ، أثقل بكثير مما هو على سطح الأرض · والثقل يجعل الصوت أعلى ولكن لا يجعله ينتقل بسرعة · ومرت لحظات وسمعت بعدها هذه الكلمات :

ـ أكسيل ! أكسيل ! هل هذا أنت ؟

فأجبت :

ـ نعم ! نعم !

ـ أين أنت ، يا ولدى ؟

ـ تائه فى أسود ظلام ·

ـ أين مصباحك ؟

ـ تالف !

ـ وجدول الماء ؟

ـ فقد ! ضاع !

ـ أكسيل يا ولدي ، يا مسكين تجلد ، وكن شجاعا !

ـ انتظر قليلا · انني متعب لا أستطيع الكلام · ليست عندى القوة على الاجابة · ولكن تحدث معى !

فقال عمى :

ـ حسنا جدا ، لا تتكلم : استمع الى · لقد صعدنا الممر ونزلناه باحثين عنك ولم نستطع العثور عليك · والدموع تسيل من عينى يا ولدى ! ثم نزلنا وأطلقنا البنادق مفترضين دائما أنك ما زالت فى الممر الذى يجرى فيه جدول الماء · وفكرنا فى أنك لا بد ستسمع صوت بنادقنا · والآن تلتقى أصواتنا بالصدفة ، ولا يمكننا أن نتلامس بالأيدى · ولكن لا تفقد الأمل ، يا أكسيل · انها نعمة أننا نسمع بعضنا البعض ·

كنت أفكر خلال هذا الوقت · وجعلنى أمل ضعيف ، أمل ضعيف جدا أشعر بأننى أكثر شجاعة فعلا · أولا ، كان من الضرورى بالنسبة لى ، أن أعرف شيئا واحدا ··· ووضعت فمى على الجدار **وقلت** :

ـ عمى

فاجاب بعد مرور علة ثوان :

ـ نعم يا ولدى !

ـ يجب أن نعرف أولا المسافة التى بيننا ، كم هى ؟

ـ هذا سهل ٠

ـ هل معك ساعتك ؟

ـ أجل ٠

ـ حسن ، اذن ناد اسمى وسجل اللحظة بالضبط وسأنادى فى اللحظة التى أسمعه فيها ، وستسجل ثانية اللحظة بالضبط

ـ أجل ! وسيكون نصف الوقت بين السؤال والاجابة هو الوقت المطلوب لصوتى ليصلك ٠

ـ بالضبط يا عمى !

ـ هل أنت مستعد ؟

ـ نعم

ـ حسن ، أنصت الآن ، سوف أنادى اسمك ٠

ووضعت أذني على الجدار وعندما وصلتني كلمة « أكسيل » ، أجبت في الحال « أكسيل » ، ثم انتظرت.

فقال عمي :

ـ أربعون ثانية ! وهكذا أخذ الصوت عشرين ثانية ليصلك . والآن بمعدل ١٠٢٠ قدم في الثانية يعمل ٢٠٫٤٠٠ ، أو أربعة أميال تقريبا .

فصرخت بصوت تعيس :

ـ أربعة أميال تقريبا .

ـ حسن يا أكسيل ، انهـا ليست مسـافة مستحيلة !

ـ ولكن أيجب على أن أصعد أم أهبط ؟

ـ تهبط ولهذا السبب ... لقد أتينا الى مكان مفتوح كبير تصب فيه ممرات عديدة . ولا بد أن الممر الذى أنت فيه يؤدى الى هنا ، لأننى أشعر بالتأكيد أن جميع هذه الممرات أو هذه الشروخ الأرضية تخرج من الكهف الكبير الذى نقف فيه أنا وهانز . كن شجاعا

وتعال ٠ امش ، ازحف ، انزلق اذا كان هناك ضرورة ، وستجدنا منتظرين لمساعدتك فى النهاية ٠ الى الأمام ، يا ولدى ، الى الأمام !

وملأتنى هذه الكلمات بحياة جديدة ، وصرخت :

ـ الوداع يا عمى ، اننى قادم ٠ عندما أغادر هذه البقعة لن نستطيع أن نتبادل الحديث ٠

ـ مع السلامة حتى نلتقى ثانية ، يا اكسيل !

ولم أسمع أكثر من ذلك ٠

لقد انتقلت هذه المكالمة الغريبة فى أعماق الأرض ، على مسافة حوالى أربعة أميال ، وانتهت بكلمات متفائلة ٠ وشكرت الله ، لأنه قادنى عبر الظلام الى المكان الوحيد الذى أمكن منه أن تصلنى أصواتهما ٠

ان من السهل شرح ما قد حدث ، لقد حمل شكل وترتيب الممر الأصوات من جانب الى جانب ٠ وهناك عديد من هذه الأمثلة لانتقال أصوات منخفضة جدا الى مسافات بعيدة ٠ وأعرف بعض هذه الأمثلة ، مرة داخل

كاتدرائية سانت بول فى لندن ، وفى تلك الكهوف الغربية فى صقلية ، وفى أنفاق سيراكوسا ، التى توجد تحت الأرض بصقلية أيضا ٠٠

وجاءت هذه الذكريات الى ذهنى ، مع الأمل بأنه طالما وصلنى صوت عمى ، فليس هناك ما يمنعنا أن نلتقى مرة أخرى ٠ فاذا ذهبت فى الطريق الذى صد منه الصوت ، فسوف أصل اليه ، الا اذا منعنى ضعفى وانهيار قواى ٠

ونهضت ٠٠٠ وزحفت أكثر مما مشيت ٠ كان الطريق منحدرا جدا ، فتركت نفسى أنزلق الى أسفل ٠ وبعد قليل أخذ الطريق يزداد انحدارا ، وبدت تحركاتى الهابطة تصبح تحركات سقوط ٠ ولم تكن لدى القوى لايقاف نفسى ٠

وفجأة انزلقت قدمى وسقطت ٠ وأحسست بنفسى أتدحرج ، وأتخبط من آن لآخر فى الصخور البارزة من الجدران ٠ وارتطمت رأسى على حافة حادة لاحدى الصخور ، وفقدت وعيى ٠٠

وعندما استعدت وعيى ثانية وجدت نفسى فى مكان شبه مظلم . وكان عمى ينظر الى ، آملا فى أية علامة للحياة فى وجهى . وعند أول حركة لى أخذ يدى . وعندما فتحت عينى صرخ فى سعادة قائلا :

ـ انه حى ! انه حى !

فأجبت بضعف :

ـ نعم !

فقال عمى وهو يحتضننى فى صدره :

ـ يا ولدى ! شكرا لله أنك حى وسالم !

وتأثرت أحاسيسى بعمق ، للطريقة التى قال بها عمى هذه الكلمات . ثم جاء هانز الينا ، ورأى يدى بين يدى عمى . ويمكن أن أقول على الأقل ، بأن عينيه كانتا كلها رضا . **وقال :**

ـ « جودداج »

فقلت له فى صوت منخفض :

ـ يوم سعيد يا هانز . والآن يا عمى أخبرنى أين نحن ؟

ـ غدا يا أكسيل ، غدا ، أما اليوم ، فعليك أن ترتاح . لتستعيد قوتك ٠٠ لقد أصبت فى رأسك . ولكنى قمت بكل ما هو ضرورى لها ٠ حاول أن تنام الآن ، وغدا سوف تسمع كل ما تريد أن تعرفه ٠

فقلت :

ـ على الأقل قل لى ما هو الوقت ٠٠٠ أو ما هو اليوم ٠

ـ الساعة الحادية عشرة مساء ، واليوم الأحد التاسع من أغسطس ، وسوف لا أجيب على أية أسئلة أخرى ، حتى العاشر من هذا الشهر !

كنت ضعيفا بالفعل ، ونمت فى الحال ٠٠ !

الفصل الحادى عشر

مائة ميل تحت الأرض

وفى اليوم التالى ، عندما استيقظت تطلعت من حولى .

كان سريرى مصنوعا من جميع بطاطين السفر ، وفى وسط كهف جميل وكانت الأرض مغطاة برمل أبيض نظيف . ولم تكن المصابيح مضاءة ، ولكن بعض الضوء كان يخرج من فتحة ضيقة . واستطعت أن أسمع صوتا يشبه صـــوت أمواج البحر وهى تتكسر على الرمال ، وسمعت أيضا صوت ريح خفيفة .

وتساءلت هل أنا مستيقظ فعلا أم مازلت أحلم. أو أن الصدمة التى أصابت رأسى ، جعلتنى أتخيل مثل هذه الأشـــــياء ؟ ولكن لا يمكن لعينى ولا لأذنى أن يخطئوا فى كل هذا . وفكرت :

ـ انه ضوء النهار فعــلا ، الآتى من خلال هذا الشق . وانى متأكد من أن الأصوات التى سمعتها هى أصوات أمواج وريح . فما معنى ذلك ؟ هل نحن على سطح الأرض مرة أخرى ؟ هل تنازل عمى عن فكرة الذهاب الى مركز الأرض ، أم ماذا ؟

كنت أسأل نفسى هذه الأسئلة ، التى لم أستطع الاجابة عليها . وعندما جاء عمى، قال فى صوت سعيد:
ـ صباح الخير يا أكسيل . انك أفضل كثيرا هذا الصباح !

فقلت وأنا أجلس :

ـ نعم ، انى بخير .

ـ هذا صحيح ، هذا رائع . لقد نمت بهدوء .

كنا نجلس أنا وهانز بجانبك بالتناوب ، وراقبت حالتك ، فرأيت انك تتحسن ٠

ـ فى الحقيقة ياعمى ، اننى أشعر بأنى انسان مرة أخرى ، وستوافق على ذلك عندما ترى الافطار الذى سآكله ٠٠٠ على الأقل اذا أعطيتنى أى افطار ٠

ـ ستأكل يا ولدى بكل تأكيد ٠ ان رأسك أفضل بكثير الآن ٠

وأثناء تناولى للافطار ، سألت عمى العديد من الأسئلة ، التى أجاب عليها جميعها ٠

وأخبرنى أن سقطتى قد أحضرتنى الى نهاية ممر منحدر جدا ٠ وأننى نزلت مع كمية كبيرة من الأحجار ، أصغرها كان كافيا لسحقى ، وقال :

ـ اننى اندهشت بالفعل ، أنك لم تقتل آلاف المرات ٠ ولكننا لايجب أن ننفصل مرة أخرى ٠

ـ لا يجب أن ننفصل مرة أخرى ؟ اذن الرحلة لم تنته بعد ! ٠٠٠

ـ ماذا فى الأمر يا اكسيل ؟

ـ أريد أن أسألك سؤالا .. أنت تقول أنى بخير ؟

ـ بالتأكيد . فأنت بخير ومعافى تماما .

ـ ولا يوجد أى عيب فى رأسى ؟

ـ اطلاقا .

ـ ومع ذلك أعتقد أن رأسى ليس على ما يرام . ألسنا على سطح الأرض الآن ؟

ـ لا ، لسنا كذلك .

ـ اذن ، فأنا مجنون بالتأكيد . اننى أرى ضوء النهار ، وأسمع هبوب الريح ، وتكسر أمواج البحر .

ـ أوه ، هل هذا كل شىء ؟

ـ حسن ، ولكن فسر لى ...

ـ لن أفسر شيئا ، لأننى لا أستطيع ان أفسر أى شىء . يجب أن تأتى لترى بنفسك ، وعندئذ

سـوف تعترف بأن الجيولوجيين لايعرفون الكثير عن أعماق الأرض ·

فقلت ناهضا فجأة :

ــ دعنا نخرج اذن !

ــ كلا يا أكسـيل ، كلا ، فالهواء المكشوف قد يكون ضارا عليك ·

ــ الهواء المكشوف ؟

ــ أجل ، فالريح قوية بعض الشيء ·

ــ ولكنى بخير ومعافى تماما !

ــ قليل من الصبر ياولدى ! ليس من السهل ، أن تفقد قواك مرة أخرى · فليس لدينا وقت لنضيعه ، فاننا سوف نحتاج وقتا طويلا للعبور ·

ــ عبور ؟ عبور ماذا ؟ ماذا تعنى ؟

ــ نعم ، استرح يوما آخرا ، وعندئذ سـوف نستعد لرحلتنا فى الماء ·

ـ فى الماء ؟

وجعلتنى الكلمة أقفز واقفا٠٠ ماذا كان يعنى؟٠٠ هل أمامنا نهر أم بحيرة ، أم بحر ؟ هل توجد سفينة فى مكان ما ؟

ورادت اثارتى ، وحـــاول عمى أن يهدئنى ، ولكنه لم يقدر على ذلك ٠ ولما رأى أن اثارتى مضرة على، وافق أن يدعنى أخرج ٠

وارتديت ملابسى بسرعة ٠ ولم أستطع أن أرى شيئا فى البداية ٠ كان الضوء شـــديدا على عينى ٠ وعندما استطعت أن أفتحهما ، لم أندهش ، لأننى لم أفهم شيئا ، **وصرخت :**

ـ البحـر !

فقال عمي :

ـ نعـم ، البحر ٠ بحر ليدنبروك ، هذا هـــو اسمه ٠ أعتقد أن من حقى أن أسميه على اسمى ٠

انه بداية بحيرة أو بحر يمتد الى مدى لاتصـل

اليه العين . وله شـــاطىء من الرمل الأبيض النظيف ينساب فى الماء ... وكانت هنـــاك ريح خفيفة تهب ... وعلى بعد ٣٠٠ قدم من حافـة الماء ، كان يظهـر الخط المنحدر للساحل الصخرى . كان بالضبط وكاننا على سطح الأرض ... كان بحرا حقيقيا ، وشاطئـــا حقيقيا وتلالا حقيقية . والضـوء ... حتى الضـوء كان مثل ضوء النهار ، ولكنه ليس ضوء الشمس ، ولا ضوء القمر بالتأكيد . كان الضوء أبيض ... ضوء أبيض بارد . من أين كان يأتى ؟ وما الذى عمله ؟

وكانت هناك سماء أيضا .. يبدو أنها مغطاة بالسحب ، والتى قد تتساقط كالمطر فى أى وقت . ولكنها لايمكن ان تكون سماء حقيقية ! وأحسست أنه يوجد فوق السحب ســطح مهول لصخر بركانى .. وأنه يسحقنى بثقله . ومع ذلك لابد أن يكون على بعد عدة أميال من فوقنـــا . ويمكنك أن تتخيل من هذا حجم الكهف .

ما الذى كون هذا الكهف ؟ .. من يعرف ؟ .. ليس لدى أية كلمات تصف كل ما شعرت به ؟

كان عمى قد اعتاد قبلى على هذا المنظر ، ولم يبد لذلك أى اندهاش ٠

وسالنى :

ـ هل أنت مستعد لأن تتجول قليلا ؟

فاجبت :

ـ أجل ، بالتأكيد ، بل لا أحب أكثر من هذا٠

ـ حسن ، امسك بيدى يا اكسيل ، ودعنا نسير على طول الشاطىء ٠

ووافقت بكل سرور ٠٠٠ كانت الجبال تشكل الساحل فى جهة اليسار ، وتتساقط من جوانبها شلالات مياه ، وتجرى جداول المياه هنا وهناك ٠٠٠ مياه نقية صافية ، ومن بينها لاحظت رفيق سفرنا الهانز باخ الذى يجرى بسرعة الى البحر ، وكأنه لم يفعل شيئا آخر ، منذ بدء الحياة ٠

وقلت :

ـ سوف نأسف على مغادرته ٠

فقال البروفسير :

ـ وماذا يهم ذلك بالنسبة لنا ، فكل مجارى المياه تتشابه .

واعتقدت أن اجابته كانت جاحدة بعض الشيء .

ورأيت فى هذه اللحظة شيئا لم أكن أتوقعه على الاطلاق . كانت هناك غابة على بعد خمسمائة خطوة ، غابة من الأشجار العالية . ولكن يالها من أشجار عجيبة ! يبدو أنها بلا أوراق ولا تبدى أية حركة رغم وجود الريح . فذهبت اليها ، ولم أستطع أن أجد اسما لها . هل هى أشجار من نوع مختلف عما هو موجود على الأرض ؟ كلا . وعندما وصلنا اليها ، أصبح اندهاشى مساويا لاعجابى . **واخبرنى عمى عنها ، وقال :**

ـ انها غابة من نبات الفطر ، أو عش الغراب .

وكان على صواب . وتخيل الارتفاع الذى يمكن أن تصل اليه فى مثل هذا المكان !

وسرنا بينها لمدة نصف ساعة . وكانت تجعل

الهواء باردا ٠ ولم تكن هذه هى الأشجار الوحيدة ، فقد رأينا بعد ذلك غيرها : لم تكن مثل الأشجار التى تنمو على سطح الأرض فى أيامنا هذه ، ولكنها أشجار مثل التى كانت تنمو منذ ملايين السنين ٠

فكان هذا الكهف يمثل مخزنا للماضى ٠ ليس مخزنا للنباتات فقط ، ولكن لعظام الحيوانات أيضا ٠ رأيناها ملقاة بالآلاف من حولنا ٠ رأينـــا عظام تلك الحيوانـــات الفظيعة ، التى كانت تعيش على الأرض منذ عشرين أو خمسين مليون سنة ٠

ولكن اذا كانت قد عاشت هذه الحيوانات هنا ، فلماذا لانجد واحدا منها حيا ويمشى بين هذه الغابات المظلمة أو خلف تلك الصخور المنزلقة ؟ وعندما خطرت فى رأسى هذه الفكرة ، تطلعت من حولى ببعض الخوف ولكن لم أر أى حيوان حى ٠

وأتعبنى المشى بعض الشيء فذهبت وجلست على صخرة بجانب البحر ٠ وأمكننى من هنـــاك أن أرى الخليج كله ، الممتد أمامنا ٠ وكدت أتوقع رؤية بعض

انها غابة من عش الغراب

السفن والزوارق . ولكننا كنــا بالتأكيد الأحيــاء الوحيدين فى هذا العالم السفلى . وجاءت جميع أنواع الاستفسارات الى ذهنى . ما هذا البحر ؟ ما هو مداه ؟ هل سوف نرى الجانب الآخر منه ؟

وفى اليوم التالى استيقظت معافى تماما ، وفكرت أنه من المفيد لى أن أقوم بالســـباحة فى هذا البحر المتوسط .. اليس هو متوسط فى الأرض ؟ اذا فهذا هو اسم مناسب لهذا البحر .

وعدت مستعدا لافطار طيب ، فقال عمى :

ــ ان المد عال الآن .

ــ أى مد ؟

ــ طبعا . لماذا لايكون هنا مد وجزر أيضــا ، كما هو موجود على ســطح الأرض ؟ فالماء هنا ، كأى مكان آخر ، يشعر بجذب الشمس والقمر ، ويجب أن يطيع .

ونزلنا الى الشاطىء · ولم يكن هناك مدعاة للشك ازاء ذلك ، فالماء كان يزداد ارتفاعا ، **فقلت :**

ــ انه لشىء رائع ، ومدهش !

فقال عمى :

ــ لا ، ليس مدهشا بل هو شىء طبيعى جدا ·

فاجبت :

ــ وبالرغم من ذلك ففى رأيى أنه مدهش · فى الحقيقة ، لا أستطيع أن أصدق عينى · من كان يتخيل وجود بحر حقيقى ، مع المد والجزر فى هذا العمق السحيق تحت سطح الأرض ؟

ــ لم لا ؟ هل يوجد أى سبب مناف لذلك ؟

فاجبت :

ــ لا ، اذا لم توافق على فكرة الحرارة المركزية·

فقال عمى :

ــ لقد رفضت هذه الفكرة ·· اننى أوافق

واتفق مع همفرى دافى ، كما تعلم ، بانه لا توجد حرارة مركزية !

ـ اذن ، لو كان الأمر كذلك ياعمى ، فمن المحتمل وجود بحار ومزارع فى وسط الأرض ٠ ولكنك لم تقل لى بعد أين نحن بالضبط ؟!

فأجاب عمى :

ـ اننا الأن على مسافة ١٠٥٠ ميلا من أيسلنده ٠

ـ الى هذا الحد ؟

ـ أجل ، أنا متأكد ٠

ـ وكم نحن عمقا ؟

ـ حوالى مائة ميل ٠

فقلت بعد أن نظرت الى الخريطة :

ـ حسن اذن ، فجبال اسكتلنده تصبح فوقنا ٠

فقال البروفسير مبتسما :

ـ أجل ، هناك وزن هائل محمول ، ولكن السقف متين بما فيه الكفاية لحمله !

ـ انى لا أخـــاف من السقف أن يقع ، ولكن ما هى خططك الآن يا عمى ؟ هل تنوى العودة حاليا الى سطح الأرض ؟

ـ العودة ؟ يالها من فكرة ! بالطبع لا ، سوف نستمر ، وبصـــفة خاصـــة بعد كل هذا العز الذى نحن فيه حتى الآن !

ـ مازلت لا أفهـــم كيف سننفذ من تحت هذا المـــاء !

ـ هذا البحر ، مهما كان ، ما هو الا بحيرة ، لابد أن له أرضا من حوله ٠

فأجبت :

ـ هذا محتمل جدا ٠

ــ اذن ، فلابد أننا سنعثر على ممر جـديد على الشاطىء المقابل ٠

ــ وكم تبلغ المسافة عبر هذا البحر ، على ما تظن؟

ــ من ١٠٠ الى ١٢٠ ميلا ٠ لهذا ، ليس لدينا وقت لنضيعه ، وسنبحر غدا ٠

فنظرت من حولى علنى أجد سـفينة تنتظرنا ! وقلت :

ــ آه ، وهكذا سنبحر غدا ! على أى سفينة ؟ ٠

ــ لا ليس على سـفينة يا ولدى ، ولكن على طوف(١) متين آمن !

فقلت فى اندهاش :

ــ طوف ! ولكننـا حتى الآن لم نصنع طوفا ، ولا سفينة ، ولا أرى ٠٠٠

ــ انك لا ترى يا اكسيل ، ولكن اذا أنصت ، فستسمع هانز ، وهو يعمل فى الطوف ٠

(١) خشب يشد بعضه الى بعض ويركب فى البحر ٠

ـ هل تقصد أن هانز يصنع طوفا ؟
ـ أجـل ٠
ـ ماذا ؟ هل أسقط أشجارا بفأسه ؟
ـ أوه ، انها لاتريد أن تسقط ٠ تعال وشاهده وهو يعمل ٠

وبعد مسيرة ربع ساعة ، وفى الجانب الآخر من بعض الصخور التى تغوص فى البحر ، استطعت أن أرى هانز وهو يعمل فى الطوف ، وكنت بجانبه على بعد عدة خطوات ٠ ولدهشتى العظيمة وجدته شبه كامل وملقى على الرمل ٠ كان مصنوعا من خشب غريب الشكل ٠ **فسألت عمى :**

ـ أى نوع من الخشب هذا ؟
ـ انه خشب حوله ماء البحر الى حجر ٠ انه خشب احفورى ٠
ـ اذن فلابد أنه قاس كالحجر ، ولا يمكن أن يطفو ٠

ـ أحيانا يكون الخشب الاحفورى هكذا ، ولكن ليس دائما ٠ ولكن أنظر بنفسك ٠

والقى عمى فى الماء احدى هذه القطع ، فسقطت فى البداية ثم طفت الى سطح الأمواج ، فسألنى :

ـ هل اقتنعت ؟

ـ لايمكن تصديق ذلك ، ولكنى اقتنعت ٠

وفى الساعة السابعة من المساء التالى كان الطوف معدا ، بمهارة مرشدنا ٠ كان طوله عشرة أقـــدام ، وعرضه خمسة أقدام ، وأصبح عائما بهدوء على مياه بحر ليدنبروك بعد نصف ساعة ٠

وفى صباح الثالث عشر من أغسطس ، استيقظنا مبكرا ٠٠٠ لنقلع بوسيلة سفرنا الجديدة ٠٠٠ وسيلة سريعة وسهلة ٠ ولقد صنعنا صـاريا وبتثبيت قطعة خشب رفيعة عبرها ، أمكننا أن ننصب شراعا ٠٠٠ استخدمنا فى صناعته احدى بطاطيننا ٠ وقام هانز بعمل مجداف ، يمكننا به أن نوجه الطوف ٠ وكانت

لدينا وفرة من الحبـــال ، لذلك فقد كان الطوف كله متينا جدا ومحكم الصنع ، ولقد وضعنا عليه كل أمتعتنا والطعام والأجهزة ، مع كمية كبيرة من الماء ٠

وفى الساعة السادسة أعطى البروفسير الأمر بالبدء ٠ كان هانز عند مجداف التوجيه ٠ وفككت أنا الحبل الذى يربطنا بالشـاطىء ٠ وهبت الريـح من الشمال الغربى ، وتحركنا بسرعة بعيدا عن الأرض ٠ وأعطى وزن الهواء قوة غير طبيعية للريح ٠ وأمكننا بعد ساعة ابحار ، أن نكون فكرة عن معدل السرعة التى نسير بها ، **وقال عمى :**

ـ اذا واصلنـا الابحـار بمثل هذه السرعة ، فسوف نقطع حوالى تسعين ميلا كل أربع وعشرين ساعة ، وسنصل قريبا الى شاطىء الجانب الآخر ٠

كان الشـاطىء الشـمالى قد بدأ يختفى عن الأبصار ، ولم نعد نراه بعد بضعة ساعات ٠ وأصبحنا فى عرض البحر المفتوح ، وكانت السحب المهولة تتحرك من فوقنا ٠

وجاء المساء ، وكما لاحظت فى اليوم السابق ، فالمساء لا يجلب أى ظلام معه ، وكان النهار والليـل نفس الشىء .

وطلب منى بروفسف ليدنبروك أن أسجل يوميا كل شىء يحدث ، مثل اتجاه الريح ، ومعـدل السرعة التى نسير بها ، والمسافة التى نقطعها ، باختصـار كل شىء له أهمية !

الفصل الثاني عشر

خطر داهم

مايلي هو ما كتبته في مفكرتي خلال الأيـام التي قضيناها في البحر ·

« الجمعة ١٤ أغسطس · ريح من الشـــمال الغربي · الطوف يســير بسرعة وفي خط مستقيم · لقد تركنا الساحل خلفنا بتسعين ميلا · لا شيء يمكن رؤيته · لا اختلاف في قوة الضوء · الطقس جميل ·· بمعنى أن السحب عالية وتبدو في لون الفضة · درجة الحرارة ٣٠ درجة »

وضع هانز فى الساعة الثانيـــة عشر سنارة مربوطة فى طرف حبل ، علق بها قطعة لحم والقاها فى البحر ٠ ولم يصطد شيئا لمدة ساعتين ٠ اذن لايوجد سمك فى هذه المياه ٠ لا ! هناك شىء يسحب الحبل٠٠ شد هانز الحبل فوجد سمكة فى نهايته ٠

كان لها وجه مســــتدير أفطس ، وكان الجزء الأسود من جسمها مغطى بشرائح عظمية ، ليس لهـا عيون ولا أسنان ولا ذيل ٠ وصرخت :

ـ يا لها من سمكة عجيبة !

ونظر البروفسير اليها ، وقال :

ـ نعم ، انها سمكة انقرضت ولم تعـــد تعيش فى البحار التى على سطح الأرض منذ زمن طويل ٠ انها احدى الأسماك التى ترونها بين الأحافير ٠ انهـا تنتمى الى العصر « الديفونى » ٠

فصرخت :

ـ ماذا ! تقصد أننا اصطدنا سمكة حية انقرضت منذ مئات الملايين من السنين ؟

فاجاب عمى وفى صوته نبرة سعادة :

ـ نعم ، هذا ما فعلناه . وهذا السمك الاحفورى، كما تعلم ، مختلف عن السمك الذى يعيش الآن . انه لشىء مدهش أن نصطاد واحدة حية !

حاول هانز ثانيـة ، وفى مدة ساعتين اصطدنا عددا وفيرا من السمك من نفس النوع ، وأنواع مختلفة أخرى ، ولكن جميعها من سلالات لا تحيا الآن . وكان هذا الصيد غير المتوقع اضافة لطعامنا ، فرحبنا بها .

ويبدو بالتأكيد ، أن السمك الوحيد الذى يعيش فى هذا البحر ، هو الموجود فقط على سطح الأرض فى الشكل الاحفورى . أليس من الممكن أننا قد نقـابل بعض تلك السحالى والزواحف المرعبـــة التى كانت تعيش منذ خمسين مليون سنة ؟

عندئذ سرح ذهنى فى حلم من أحلام اليقظة ٠ ورجعت الى العصور التاريخية المبكرة للأرض ٠٠ حين كان العالم بلا حياة عليه اطلاقا ، لا حيوان ، ولا نبات ٠٠ عالم فارغ ، فيما عدا الصخور والماء ٠ ثم بدايات الحياة (ربما منذ مائتى مليون سـنة) ٠ ثم عصر الأسماك ، يتبعه عصر النبات ٠٠ النبات الذى أعطانا الفحم ٠ ثم فكرت فى العصر الذى كانت الحيوانات كالسحالى الزاحفة البرية الضخمة تهيم على الأرض ، وسحالى الماء تسبح فى البحار ، والسحالى الطائرة تشق طريقها عبر الهواء ٠ ثم بعد ذلك بكثير (ربما منذ عشرين مليون سنة فقط) ، العصر الذى ظهرت فيه الأشكال المبكرة للحيوانات التى نعرفها اليوم ٠٠ الجياد الأولى ٠٠ والأفيال الأولى ثم الانسـان الأول المغطى بالشعر الذى كان يعيش فى حالة متوحشة ، مثل الحيوانات نفسها ٠٠ ثم ، فى النهاية ، عصر الجليـد العظيم ، عندما كانت معظم أوربا مغطاة بجبال من الثلج

ولكن ألا يمكن هنا فى هذا العالم السفلى ، أن أرى بعينى غرائب العصور الماضية ، حية وحقيقية ؟

وتيقظت من هذا الحلم وتنبهت لعمى وهو يقول :

ـ أجل ، ريح طيبة ، وبحر هادىء ، واذا كنت على صواب ، فسنصل الشاطىء قريبا .

فنهضت وتطلعت من حولى ، ولكنى لم أر شيئا سوى خط البحر ضائعا فى السحب .

السبت ١٥ أغسطس . كل شىء كما هو عليه . لا توجد أرض على مدى البصر . الماء من حولنا . يبدو كأننا فى وسط المحيط الأطلسى أو المحيط الهادى .

اننى أشعر بانفعال غريب . ويبدو عمى غاضبا دائما . لماذا هو غاضب ؟ لقد قلت من قبل أن عمى رجل هام . ولكن على ما يبدو لا يوجد ما يجعله ضيق الصدر ، فكل شىء يسير على ما يرام . فرحلتنا بخير والطوف يبحر بالشراع مسرعا .

ـ ماذا فى الأمر يا عمى ؟

ـ لا يوجد شيء ٠

ـ هل أنت نافد الصبر ؟

ـ ولماذا أكون نافد الصبر ؟

ـ اننا نسير بسرعة ٠ أليس كذلك ؟

ـ نعم ، اننا نسير بسرعة ، ولكن البحر واسع جـدا ٠

تذكرت أن البروفسير كان يعتقد أن البحر حوالى مائة ميل فقط ، من بدايته حتى نهايته ٠ لقد قطعنا ثلاثة أضعاف هذه المسافة ، ولم تظهر بعد الشواطىء الجنوبية ٠

وقال البروفسير :

ـ اننا لا نهبط ، وكل هذا مضيعة للوقت ٠

ـ ولكننا اذا اتبعنا طريق ساكنوسيم ٠٠٠

هـذا هو السؤال الذى يقلقنى ٠ هل اتبعنـا طريقه ؟ هل وجد هو هذا البحر ؟ هل عبره ؟ هل المجرى الذى تبعناه أدى بنا الى الاتجاه السليم ؟

فاجبت :

ــ حسن ، ليس لدينا داع لأن نأسف له بعد أن قطعنا كل هذه المســافة · وكل شيء يســـير على ما يرام ·

ــ أجل ، ولكننا لا نهبط أعمق ، منذ فترة طويلة ·

وفى الساعة السادسة ، قال هانز ، ان وقت حصوله على نقوده مقابل عمل الأســبوع ، قد حــان حينئذ ، فأعطاه عمى أجره الاسبوعى ·

الأحد ١٦ أغسطس · لاشيء جــديد ! الطقس كما هو ! الريح أشد قليلا · عندما أستيقظت ، كان أول تفكير لى هو عن الضوء ، فأنا أخشى دائمــا انه سيقل حتى نعود للظلام · ولكن الضوء كان ساطعا ، كما كان ·

لايبدو للبحر نهاية · لابد أنه فى حجم البحر المتوسط أو حتى المحيط الأطلسى · ولم لا ؟

حاول عمى معرفة العمق لمرات عديدة · فثبت احدى المعاول الثقيلة فى حبل طوله ١٢٠٠ قدم ، والقى به فى الماء · فلم يجد له قرارا ! وجدنا صعوبة بالغة فى سحب الحبل · وعندما عاد المعول ، اشار هانز الى بعض الآثار الغريبة على سطحه وقال :

ـ تاندر !

ولم أفهم ، فقال عمى :

ـ أسـنان ·

نعم ، كانت بالتأكيد أسنان ·· وهى التى تركت هذه الآثار على المعول ·· ولكن يالها من أسـنان قوية ! هل تعيش بعض من تلك الحيوانات المخيفة فى قاع البحر ؟ هل سيتحول حلمى الى حقيقة ؟! أفزعتنى الفكرة ·

الاثنين ١٧ أغسطس · لم أتوقف عن التفكير فى آثار الأسنان على المعول طوال الوقت · نظرت الى البحر ، وكنت خائفـا ، فلعل أحد هذه الحيوانات الفظيعة يظهر لنا فى أى وقت ·

أظن أن بروفسير ليدنبروك لديه نفس الفكرة ، لأنه عندما تفحص المعول تطلع فى البحر باهتمام ٠

تفحصت بنادقنا لأتأكد من أنها فى حالة جيدة٠ لاحظنى عمى وأنا أقوم بذلك ، فابتسم ، ليبين لى أننا نفكر فى نفس الشيء ٠

كنا نرى أحيانا حركة غريبة على سطح الماء ٠ وكان ذلك ينبيء بالخطر ٠ يجب أن نكون حريصين ٠

الثلاثاء ١٨ أغسطس ٠ جاء المساء ، أو بالأحرى جاءت اللحظة التى شعرنا فيها بالنعاس ٠ كان هانز واقفا عند المجداف ويقوم بالحراســـة بينما خلدت أنا للنوم ٠

وبعد ساعتين أيقظتنى صدمة رهيبة ٠ لقد ارتفع الطوف عن الماء ، وسقط على الأمواج ثانية على بعد مائة قدم ، **وصرخ عمى :**

ـ ماذا هناك ؟ هل ارتطمنا بصخرة ؟

أشار هانز الى جسم أسمر على بعد ١٢٠٠ قدم ، يهبط ويعلو باستمرار . نظرت وصحت قائلا :

ـ انها سمكة ضخمة !

فقال عمى :

ـ أجل ، وهناك سحلية بحرية حجمهـــا غير عادى .

ومن خلفها تمساح ضخم ! أنظر الى أسنانه ! آه ! لقد اختفى !

وصرخ البروفسير :

ـ حوت ! حوت ! أنظر الى الهواء والماء المتفجرين الى أعلى فى الجو !

وقفنا مندهشين وعاجزين ، فى فزع رهيب من هذه الحيوانات .

كانت ذات أحجام ضخمة وأصغرها يمكن أن يقضم طوفنا بأسنانه نصفين . وأراد هانز أن يتراجع

الى الجانب الآخر هربا ، ولكن ظهرت على ذلك الجانب حيوانات أخرى جديدة ، سلحفاة مائية طولها أربعون قدما . كانت تحرك رأسها الكبير يمينا ويسارا فوق الأمواج .

كان من المستحيل الهروب . وبدأت الحيوانات تقترب أكثر وأكثر وتحوم حولنـــا . أخذت احدى البنادق . ولكن ما فائدة استخدامهـــا ؟ فلدى هذه الحيوانات جلد سميك فى قسوة الحديد .

لقد فزعنا بشكل ألجمنا عن الكلام . أصبحوا بالقرب منا ، التمساح على جانب وثعبان على الجانب الآخر . ولم نعد نرى بقية الحيوانات الأخرى .. وكنت على وشك اطلاق النـــار ، ولكن هانز منعنى . كانت الحيوانات على بعد ثلاثمائة قدم فقط من الطوف . كانوا يقفزون على بعضهم البعض ، وبدأ القتال . ولم يلاحظونا وهـم فى ثورة غضبهم ، لحســن الحظ . ولكن عندما نظرت اليهـم ، بدت وكأن الحيوانات الأخـرى جاءت وشاركت فى القتـال .. السـمكة

الضخمة ، والحوت ، والسحلية ، والسلحفاة · لقد رأيتهم كلهم · وأشرت اليهم لهانز · فهز رأسه . وقال :

ـ تفـا !

ـ ماذا ؟ اثنين ؟ انه يقول أنهما اثنان فقط !

فقال عمى :

ـ انه على صواب ·

ـ لايمكن أن تقصد ذلك يا عمى !

ـ نعم ، أقصد ذلك · واحد منهما له فم السمكة الكبيرة ، ورأس السحلية ، وأسنان التمساح · انه أكثر السحالى البحرية جميعا رعبا ··· « اتشثيوساوروس ! »

ـ والآخر ؟

ـ والآخر له جسم يشبه السلحفاة ورقبة تشبه الثعبان ، انه « البليسيوساوروس ! » ·

الصراع الرهيب بين الحيوانين ..

وكان هانز صادقا ، انهما كانا حيوانين فقط ، وكلاهما من العصور الوسطى للارض ·

ان هذه الحيوانات تتقاتل بعنف لايصـــدق وتثير أمواجا كالجبال · ومرت ساعة ، ومرت ساعتان: والمعركة لازالت مستمرة · وأحيـــانا كان المتقاتلان يقتربان فى اتجاهنا ، وأحيانا كانا يبتعدان · وكل ما كنا نستطيع عمله هو التطلع الى المعركة ·

وفجأة اختفى الحيوانان وغطســـا فى أعماق البحر · ومرت بضـــعة دقائق · هل كانت المعركة لاتزال دائرة تحت الماء ؟

وانطلقت مرة واحدة رأس البليسيوســاوروس من خارج الماء · كان الحيوان الكبير مصـــابا اصابة بالغة ، وكان يلقى بعنقه الطويل الى أعلى والى أسفل بشـــكل دائرى كالحوامة ، وبعد ذلك بقليل امتـدت العنق الطويل على سطح الماء وأصبح الحيوان بلا حراك·

أما بالنسبة لاتشيثيوساوروس ، فتعجبنا هل

عاد الى بيته تحت البحر أم أننا سوف نراه مرة أخرى على السطح ٠

الاربعاء ١٩ أغسطس ٠ لحسن الحظ ساعدتنا الريح ، التى تهب بقوة ممتازة ، فى أن نبتعد بسرعة كبيرة عن هذا المكان الخطير ٠ ومازال هانز يعمل على الدفة ٠٠ وأصبح عمى ضيق الصـــدر مرة أخرى ، متطلعا طوال الوقت باحثـــا بعينيه عن الشاطىء ، ومتعجبا متى سوف نرى البر ثانيـــة ٠ ان رحلتنا غير مسلية ٠٠ فيما عدا وقت الخطر ، فتصبح مسليـــة بشكل فظيع ٠

الخميس ٢٠ أغسطس ٠ الريح تهب من جهة الشمال والشمال الشرقى ٠٠ درجة الحرارة عالية ٠ نسير بمعدل تسعة أميال ونصف فى الساعة ٠

وعند منتصف النهار سمعنا صوتا بعيدا جدا ٠ ألاحظ حقيقة هنا لاتفسير لها ٠ هى صوت هذا الهدير المتواصل ٠٠ وقال البروفسير :

ـ لابد أنه يوجد ، عن بعد ، بعض الصـــخور أو جزيرة يرتطم بها البحر · تسلق هانز على الصارى، ولم يستطع أن يرى شيئا سوى البحر المفتوح · ومرت ثلاث ساعات ·· كان الصوت يشبه الشلال ، فأقول لعمى أنه شلال بالتأكيد · فيهز رأسه ، ولكنى أشعر أننى على صواب · هل نحن نسير فى اتجاه مسقط مائى كبير ، سيحملنا فجأة آلاف الأقدام هابطا الى مركز الأرض ؟ لاشـــك أن البروفســـير ســيحب ذلك ، أما بالنسبة لى ··

مهما كان مصدر هذا الصوت ، لابد أن هنـاك على بعد بضعة أميال شيئا يصدر هذا الصوت ، لأننا الآن نستطيع سماع صوت هدير عنيف · هل يأتى ذلك من البحر أم من السماء ؟ تطلعت الى السماء ·· اذا أمكن أن تسمى سقف كهفنا هذا سماء · السحب هادئة من فوقنا · ولا أرى شيئا هناك !

ثم التفت الى البحر ، انه أيضا هادىء وصاف ·· ولكن اذا كان هذا الصــوت يأتى من مسقط مائى ·

واذا كانت مياه بحرنا سوف تسقط ، وتلتحق بمياه بحر ما أكثر انخفاضا ، فيجب على المياه التى من حولنا أن تتحرك بسرعة ، تزداد أكثر وأكثر مع الوقت · ولكن ، على قدر ملاحظتى ، فالميـــاه لا تتحرك بسرعة أكثر · انها فى نفس هدوئها المعتاد ·

تسلق هانز الصارى فى حوالى الساعة الرابعة حتى وصل الى نهايته ·· ويبدو أن شيئا ما قد لفت انتباهه ، وقال عمى :

ـ انه يرى شيئا ·

قلت :

ـ أعتقد ذلك ، أيضا !

نزل هانز ، وأشار الى الجنوب وقال :

ـ « دير تير » ·

فقال عمى :

ـ أسفل هناك ٠

ونظر باهتمام ولمدة طويلة الى المكان الذى أشار اليه هانز ، وقال :

ـ أجل ٠

ـ ماذا ترى ؟

ـ أستطيع أن أرى نافورة كبيرة من الماء تنطلق عاليا من البحر ٠

ـ هل هذا حيوان رهيب آخر ؟!

ـ ربما ٠

قلت :

ـ اذن دعنا نبتعد عنه ٠

فاجاب عمى :

ـ لا ، دعنا نذهب ونرى ما هو ٠

ظننت أنه لابد حيـــوان جديد مثـــل اتشثيو

ساوروس ، يطلق المياه من أنفه · واذا كنا نستطيع أن نرى ذلك على بعد لا يقل عن ستة وثلاثين ميلا ، فلا بد أنه حيوان مهول · ومن الحكمة لنا أن نبتعد عنه ·

وهكذا واصلنا الابحار · وكلما اقتربنا منه كلما ارتفعت طلقات المياه · أى حيوان الذى يستطيع أن يطلق مثل هذا الكم الهائل من الماء بدون توقف ؟

وعند الساعة الثامنة مساء لم نكن نبعد عنه أكثر من ستة أميال ، ورأيناه ·· كان مثل الجبل · كان ممتدا فى البحر وكأنه جزيرة تماما · هل كان حيوانا أم جزيرة ؟ كان حوالى ٦٠٠٠ قدم طولا · هل يمكن لحيوان أن يكون بهذا الطول ؟ لم يتحرك ·· بل حتى لم يطف على البحر ، لأن أمواج البحر تسقط عليه · وينطلق الماء الى ارتفاع ٥٠٠ قدم ، فيتساقط مرة أخرى فى شكل مطر · ونحن نجرى فى اتجاهه·

استحوز على خوف رهيب · ولم أعد قادرا على الاستمرار ، حتى أنى قررت قطع الحبال ···

ذهبت الى عمى وسألته :

ــ ما هذا ؟

ولم يعطنى جوابا . **وفجأة وقف هانز ، واشار الى مكان الخطر ، وقال :**

ــ « هولم »

فصرخ عمى :

ــ جزيرة !

فقلت :

ــ جزيرة ! مجرد جزيرة ؟

فقال عمى ضاحكا :

ــ طبعا ، انها جزيرة ليس الا .

ــ ولكن الماء ؟ ما هذا الماء ؟

فقال هانز :

ــ « جايسر » (١)

---

(١) ينبوع ماء حار يقذف بمائه فى الهواء .

الجزيرة ذات النافورة الحارة

ـ نعم ، انه « جايسر » بلا شك ، مثل الموجـود منها فى أيسلنده ٠

كنت غاضبا مع نفسى لخطأى فى تقدير الجزيرة على أنهـا حيوان ٠ وعندما اقتربنـــا شاهدنا الجزيرة بوضوح أكثر ٠ كانت تشبه حوتا هائلا ، مـع بروز رأسه بحوالى ستين قدما فوق الماء ، ويطير ينبوع الماء بين السحب من أعلى نقطة منه ٠ **وقال البروفسير :**

ـ فلنذهب حول الجزيرة ٠

وضعنا فى الحسبان أن نكون حريصـــين جدا للابتعاد عن مســقط الماء ، الذى قد يغرق الطوف فى لحظة ٠ تمكن هانز من السير بأمان الى الجانب الآخر من الجزيرة ٠ قفزت الى الجزيرة الصخرية ، وتبعنى عمى ، ولكن هانز ظل باقيا على الطوف ٠

كانت الأرض تهتز تحت قدمى ، وكانت الحرارة مرتفعة جدا ٠ وشاهدنا بحيرة صغيرة مستديرة الشكل يخرج منها ينبوع الماء متفجرا ٠ وجدنا أن حـــرارة

الماء ١٦٠ درجة مئوية بعد قياسها بالترمومتر الذى معنا · معنى ذلك أن هذا الماء لابد وانه آت من مركز مشتعل · ولفت نظر عمى لذلك ·

فقال :

ــ حسنا ، وما الذى يثبته ذلك ضد ما اعتقده ؟

قلت :

ــ أوه ، لا شيء ·

واضعاً فى اعتبارى أنه قد يغضب مرة أخرى ·

ولكنى يجب أن أعترف أننا حتى ذلك الوقت كنا موفقين تماما · وهذا شيء لا أدرى كنهه ، فلقد قمنا بهذه الرحلة تحت ظروف مدهشة منها درجة الحرارة المعتدلة والمحتملة · ولكنى على يقين ، أننا لابد فى وقت ما سنصل الى جزء ما حيث الحرارة المركزية فى أعلى درجاتها ·

أطلق عمى اسمى على هذه الجزيرة البركانية ، وأمرنا بعد ذلك بمعاودة المسير ·· كنا حتى ذلك

الحين قد أبحرنا ٨٠٠ ميل فى هذا البحر السفلى ، ولذلك فلابد أننا كنا تحت انجلترا ، التى تبعد ١٨٠٠ ميل عن أيسلنده ٠

الجمعة ٢١ أغسطس ٠ فى اليوم التالى لم نعد نستطيع رؤية « الجايسر » ازدادت الريح قوة وحملتنا بعيدا عن جزيرة آكسيل ٠ وخفت صوت الهدير بالتدريج ٠

وكان يبدو أن الطقس سيتغير عن قريب ٠٠٠ فالهواء أصبح مشبعا بالكهرباء ، والسحب تهبط ببطء وتصطبغ بلون بنى مخضر ، والظلام يزداد ، فقلت :

ـ ان الطقس يبدو سيئا ٠

ولم يجب البروفسير ٠ كان سيىء المزاج ٠ كان لا يحب أن يتسع البحر بهذا الشكل ونحن نبحر عبره بلا نهاية ، وقلت :

ـ ستقابلنا عاصفة ، فهذه السحب تجثم على البحر ، وكأنها ستسحقه ٠

ثم سكنت الريح ، ولم يعد الطوف يتحرك فقلت :

ـ فلننزل الشراع والصارى .. أليس هـذا أفضل ؟

فقال عمى حانقا :

ـ لا ! وألف لا ! دعنى أرى صخور الشاطىء ، ولا يهمنى أن يتكسر الطوف أشلاء .

ولم يكد ينهى كلامه حتى تحول الطقس ... انهمر المطر كالسيل ، مع هبة ريح مفاجئة .. كانت الضجة رهيبة وازداد الظلام .

وقفز الطوف فجأة الى أعلى ، فألقى بعمى على سطحه ، فتشبث بحبل من الحبال ، وشاهد الطوف وهو يطير الى الأمام .. وكان يبدو سعيدا .

أخذت سرعتنا تزداد وتزداد .. والريح تضغط على الشراع بشدة . هل سينكسر ؟ وصرخت قائلا :

ـ الشراع ! الشراع !

واخذت أشير لهانز كى ينزله · فقال عمى :

ـ لا ·· !

وقال هانز ، وهو يهز رأسه بلطف :

ـ ناى !

كان المطر ينهمر كالشلال ·· والعاصفة تهب علينا بكل عنفهـــا ، والرعد يزأر طول الوقت بدون توقف

ـ أين نحن ذاهبون ؟

وكانت ليلة رهيبـة ·· العاصفة عنيفة مثلما كانت من قبل · والكهرباء موجودة حولنا فى كل مكان ·· الحرارة تزداد رويدا رويدا ··

الاثنين ٢٤ أغسطس · العاصفة نفس الشىء ·· من الغريب أنها لم تنته بعد ! ·· كم نحن فى حاجة الى الراحة ! واصلنا التحكم فى الطوف باتجاه الجنوب الغربى · لقد قطعنا ٦٠٠ ميل منذ أن تركنا جزيرة أكسيل ·

ولمدة ثلاثة أيام كاملة لم نكن قادرين على تبادل كلمة واحدة ، حتى ولو تفوه أحدنا بهـا بأعلى صوته ، فلا تسمع · وجاء عمي وحاول أن يتكلم · فلم أستطع سماع شيء ، ولكنني اعتقدت أنه يحاول أن يقول :

ـ لقد ضعنا ! وانتهى كل شيء !

وأشرت الى الشراع ، وأشرت بما معناه « دعونا ننزله » ·

واشار عمي اشارة تعنى أنه موافق ، وظهـرت فى هذه اللحظة كرة من النار عند حافة الطوف ·· وحملت الريح الصارى والشراع بعيـــدا وطارا فى الهواء ·

كدنا نموت فزعا ·· تحركت الكرة الكبيرة ، التى يبلغ عرضها حوالى قدم ، ولونها أزرق فى أبيض ببطء شديد ، ولكنها دارت حول نفسها بسرعة عظيمة كانت تتحرك على الطوف من مكان الى مكان · وفى احدى المرات كادت تلمس الصـــندوق الذى يحتوى على البارود · وسوف نتناثر أشـــلاء · لا ، لقد ذهبت

بعيدا ، ثم جاءت قرب هـانز ، الذى نظر اليها فى هدوء · ثم جاءت الى عمى ، الذى انبطح على ارضية الطوف ، ثم جاءت الى وأخذت تلف بالقرب من قدمى حاولت أن أسحب قدمى بعيدا ، ولكنى لم أقدر ·

رائحة غريبة ملأت الهواء · كانت تؤذى تنفسنا ·

وما الذى منعنى من تحريك قدمى ؟ كنت أشعر وكأن قدمى مثبتة فى الطوف · انى أدرك سبب ذلك! لقد أثرت هذه الكرة الكهربائية مغناطيسيا على كل الحديد الموجود على الطوف ، فالتصقت أدواتنا بعضها ببعض ، والتصق حذائى بقطعة حديد مثبتة فى الطوف ·

وأخيرا ، تمكنت بمجهود عنيف ، أن أنزع قدمى بعيدا قبل أن تضربنى الكرة ·· وانفجرت الكرة فى نفس اللحظة · يا له من ضوء متوهج مخيف ! وشبت النار من حولنا · ثم تحول كل شىء الى ظلام ·

أين نحن ذاهبون ؟

كرة النار الكهربائية المتحركة

الفصل الثالث عشر

ساكنوسيم ثانية

الثلاثاء ٢٥ أغسطس · لا بد أنى كنت مغشيا على لعدة ساعات · هل ما زلنا فى البحر ؟ نعم ، ونندفع بسرعة مهولة الى الأمام · لقد مررنا تحت انجلترا وتحت فرنسا وربما تحت كل أوروبا ·

وكنا نسمع صوتا جديدا · انه يشبه هدير الأمواج وهى تتكسر على الصخور ···

والى هنا تنتهى المفكرة التى كتبتها خلال رحلتنا على الطوف ·

ما الذى حدث بعد ارتطام الطوف بالصخور ؟ ٠٠ أكاد لا أعرف ٠ أحسست اننى سـقطت وتلقفتنى الأمواج ، واذا كنت لم اغرق ، أو لم يتمزق أحد منا اربا بسبب الصخور الحادة ، فكان ذلك بسبب ذراع هانز الذى انتشلنى من الماء وأخرجنى الى الشاطىء سالما ، حيث وجدت نفسى بجانب عمى ٠

ثم عاد ، حيث تتكسر الأمواج الغاضبة ، عله ينقذ بعض ممتلكاتنا ٠ لم اقدر على الكلام ٠ ومرت أكثر من ساعة قبل أن أعود الى الحياة مرة أخرى ٠٠٠ وكان المطر منهمرا حتى ذلك الوقت ٠

أعد هانز بعض الطعام ، ولكنى لم أستطع أن آكل أى شىء ٠٠٠ ونمنا من جراء تعبنا لثلاثة أيام متواصلة بدون راحة ٠

وعندما استيقظنا فى اليوم التالى ، وجدنا أن العاصفة قد ولت تماما ٠٠٠ وأصبح الطقس جميلا ٠٠٠ وأصبحت السماء صافية ، والبحر هادئا !

وقال البروفسير :

– آمل يا ولدى أن تكون قد نمت جيدا ٠

كان يتكلم وكاننا فى البيت بشارع كونيج ، وأنا نازل لتوى لتناول الافطار ٠ آه ! اذا كانت العاصفة قد وجهت طوفنا الى الشرق ، لكنا مررنا تحت المانيا ٠٠ تحت مدينتى الحبيبة هامبورج ٠٠ ربما تحت الشارع الذى تعيش فيه أغلى فتاة فى العالم ٠ عندئذ نكان بيننا ١٢٠ ميلا فقط ٠٠ ولكن ١٢٠ ميلا فى خط مستقيم عبر جدار صلد من الصخر ٠

جاءتنى هذه الأفكار قبل أن أجيب على سؤال عمى الذى **قال** :

– سألتك كيف نمت ؟

فقلت :

– نمت نوما عميقا ٠ تبدو سعيدا جدا يا عمى هذا الصباح ٠

فقال :

ـ أجل ، اننى سعيد جدا بالفعل · لقد وصلنا أخيرا !

ـ وصلنا الى نهاية رحلتنا ؟!

ـ لا ، ولكن الى نهاية هذا البحر الفظيع ! سوف نعاود السير برا مرة أخرى ، وهذه المرة سوف نهبط فى الأعماق ·

ـ ولكن يا عمى هل لى أن أسألك سؤالا ؟

ـ تفضل يا أكسيل ·

ـ كيف سنعود ؟

ـ نعود ! هل تفكر فى العودة قبل أن نصل الى نهاية رحلتنا ؟

ـ لا ، كنت أريد أن أعرف فقط كيف سنعود عندما يحين الوقت ؟

ـ أوه ، ان ذلك سيكون هينا جدا ، أبسط شىء

فى العالم · عندما نصل الى منتصف الأرض ، سنكتشف طريقا جديدا للعودة منه الى السطح ثانية ، والا سوف نعود من طريق أقل تسلية فى نفس الاتجاه الذى أتينا منه ·

ـ فى تلك الحالة يجب أن نصلح الطوف ·

ـ طبعا ·

ـ ولكن هل لدينا طعام يكفى هذه الرحلة الطويلة ؟

ـ لدينا · فهانز رجل ماهر ، وأنا على يقين من أنه أنقذ معظم حاجياتنا · على كل ، دعنا نذهب لنرى ·

كان هذا الأمل ، يبدو لى مستحيلا أن يكون قد تحقق ، وهو انقاذ حاجياتنا من فوق الطوف ، وكنت مخطئا ، فعندما وصلت الى هانز وجدته بين عدد كبير من حاجياتنا مرتبة بنظام فوق الرمال · ضغط عمى على يد هانز ليبين له عن شكره · لقد كان هذا الرجل يعمل ونحن نائمين ، ولقد أنقذ معظم الأشياء القيمة ·

حقا ، كانت هناك خسائر خطيرة · منها بنادقنا مثلا ، ولكنها لم تعد ضرورية · **وقال عمى :**

ـ حسنا ، طالما أن البنادق قد نفدت ، فلن نتمكن من الذهاب للصيد ·

ـ ولكن ماذا حدث لأجهزتنا ؟

ـ ها هو البارومتر الذى يعتبر أفيد شيء ، والذى قد أتنازل عن الباقى من أجله · أستطيع ان أعرف العمق الذى نحن فيه بواسطة البارومتر · وبدونه قد نقترف خطأ ويجعلنا نخرج فى مكان ما باستراليا ·

قلت :

ـ والبوصلة ؟

ـ هـا هى فـوق الصـخرة مع الكرونـومتر والترمومتر · أوه ! ان هانز رجل رائع !

كانت هذه حقيقة لا بد من الاعتراف بها · لم نفقد أيا من أجهزتنا · وبالنسبة للأدوات فرأيت حبالنا والمعاول وأشياء أخرى فوق الرمال ·

وسألت :

ـ والطعام ؟

ـ أجل ، دعنا نرى الطعام ·

كانت الصناديق التى فيها طعامنا موضوعة جنبا الى جنب فى حالة مثالية · كان لدينا ما يكفينا لمدة أربعة أشهر · وصرخ البروفسير :

ـ أربعة أشهر ! يا للهول ، فلدينا ما يكفينا لنذهب ونعود ، وما يتبقى سأقيم به حفلة عشاء ضخمة لزملائى الأساتذة بالجامعة ·

ثم اردف قائلا :

ـ والآن يجب أن نملأ زجاجاتنا بالماء مرة أخرى· أما بالنسبة للطوف فأنصح هانز أن يفعل ما فى وسعه لاصلاحه ، رغم أنى لا أتوقع حاجتنا اليه ثانية ·

فسألته :

ـ ولم لا ؟

ـ انها فكرة من عندى يا ولدى · لا أعتقد أننا سنعود من هذا الطريق · فتطلعت الى عمى وكأنه شخص مخبول · وأضاف قائلا :

ـ هيا ، هيا الى الافطار !

ثم تناولنا وجبة طيبة جدا ··· من أفضل الوجبات التى أكلتها فى حياتى · وسألت عمى أثناء الاكل ، كيف سيعرف أين كنا بالضبط ، فاجاب :

ـ اننا لا نستطيع أن نعرف بالضبط · ففى الحقيقة يبدو هذا مستحيلا ·

لأننى لم أستطع ، خلال عاصفة الأيام الثلاثة تدوين السرعة أو الاتجاه لرحلتنا ، ولكن نستطيع ، مع ذلك ، أن نكون فكرة ما عن موقعنا ·

فقلت :

ـ فلنر الآن ، عند جزيرة الجايسر ···

ـ عند جزيرة أكسيل يا بنى · لا تخجل من تسميتها باسمها الحقيقى ·

ـ حسن جدا . لقد عبرنا ۸۱۰ ميل من عند جزيرة أكسيل ، وكنا على بعد يزيد عن ۱۸۰۰ ميل من أيسلنده .

ـ تمام ، والآن نضيف أربعة أيام من العاصفة التي كانت سرعتنا فيها لا تقل عن ٢٤٠ ميلا كل أربع وعشرين ساعة .

ـ اعتقد ذلك . ولهذا نضيف ۹۰۰ ميل .

ـ أجل ، لا بد أن اتساع بحر ليدنبروك يساوى ۱۸۰۰ ميل ! هل تعرف يا أكسيل أنه أكبر من البحر المتوسط .

ـ أجل ، وربما نكون قد عبرنا عرضه فقط .

ـ محتمل جدا .

فقلت :

ـ شيء غريب آخر ، اذا كانت حساباتنا صحيحة ، فلا بد أن يكون البحر الأبيض المتوسط فوق رؤوسنا تماما !

ـ حقا ؟

ـ أجل ، لأننا على بعد ٢٧٠٠ ميل من ريكيافيك ٠

ـ انه لطريق طويل يا بنى ، ولكن سواء كنا تحت البحر المتوسط أو تحت الأطلسى أو تحت تركيا فهذا لا يمكن أن نقرره الا لو كنا متأكدين من أن اتجاهنا لم يتغير ٠

ـ حسنا ، من السهل معرفة ذلك بالنظر الى البوصلة ٠

شق البروفسير طريقه تجاه الصخرة التى رتب عليها هانز الأجهزة ٠ كان شغوفا وسعيدا ، وأخذ يفرك يديه وهو يسير ، وكأنه قد عاد الى شبابه مرة أخرى ! وتعتنى قلقا لأعرف اذا كانت حساباتى صحيحة ٠

وعندما وصل عمى الى الصخرة ٠ رفع البوصلة وثبتها بشكل مستقيم ونظر الى المؤشر الذى تذبذب لحظات قليلة ثم وقف ساكنا ٠ وتطلع عمى وأطال

ثم دعك عينيه ، وتطلع مرة أخرى . ثم التفت الى بنظرة اندهاش كبيرة على وجهه .

ــ ماذا فى الأمر يا عمى ؟

فأشــار الى لأنظر الى البوصـــلة . فصرخت فى دهشة . كانت البوصلة تشير الى حيث كنا نعتقده الجنوب . كانت تتجه الى الشاطىء بدلا من البحر .

هززت البوصلة ، وفحصتها ، كانت فى حاله سليمة ، وظلت تشير الى الاتجاه الخطأ .

لم نستطع أن نتخيل سوى أننا لم نلحظ ، خلال العاصفة ، تحول الريح الذى أعاد الطوف مرة أخرى الى الشاطىء الذى كان يأمل أن يتركه خلفه .

لا توجد ألفاظ يمكن أن تعبر أو تعطى أية فكرة عن حالة عمى : اندهاش ، عدم تصديق ، حنق . لم أر مطلقـــا رجلا مثله خائب الظن ثم حانقا ثائرا بعـد ذلك . فبعد هذه الرحلة الخطيرة المرهقة ، كان علينا أن نقوم بها مرة أخرى . لقد ذهبنا للخلف بدلا من ذهابنا للأمام .

ـ يا له من سوء حظ ! كل شيء ضدى · الهواء النار ، الماء ، الطبيعة تفعل ما تستطيع لاعاقتى ·· حسن لن تعوقنى ·· لن أرضخ ·· وسوف نرى من سينتصر : الانسان أم الطبيعة ؟!

فكرت أنه جاء الوقت لأبين حقيقة الوضع . فقلت فى صوت هادىء :

ـ استمع لى يا عمى ، هناك أشياء يمكن للانسان أن يقوم بها ، وهناك أشياء أخرى غير ممكنة ، فلا جدوى من محاربة المستحيل · اننا لسنا فى وضع يسمح لنا بالقيام برحلة بحرية أخرى ، لا يمكن أن نقطع ١٥٠٠ ميل على طوف مكسور مع شراع ممزق وقطعة خشب على شكل صارى ·· ليس لدينا مجداف ولا دفة · وتستطيع أية عاصفة أن تفعل بنا ما تشاء · اننا عاجزون ·

تكلمت هكذا حوالى عشر دقائق ، ولم يكن ذلك الا لأن البروفسير لم يعرنى التفاتا ، انه لم يسمع كلمة مما كنت أقوله ·· وصرخ قائلا :

ـ الى الطوف !

كانت تلك اجابته . فتوسلت اليه أن يغير رأيه ، بلا فائدة . كنت أقاوم ارادة أصلب من الصخر . وكان هانز قد انتهى من اصلاح الطوف . وكأنه قد خمن ما ينوى عمى أن يفعله . وجعل الطوف أقوى مما كان واستخدم قطعا جديدة من نفس الخشب . وكان قد نصب صاريا وشراعا جديدين .

وأصدر البروفسير عدة أوامر لمرشدنا . الذى وضع فى الحال كل حاجياتنا فوق الطوف . وأعد كل شىء للاقلاع . كان الطقس صافيا بشكل جميل . كما كانت هناك ريح طيبة تهب من الشمال الغربى .

ماذا كنت أستطيع أن أفعله ؟ كيف لى بمفردى أن أحقق أى نجاح ازاء هذين الاثنين ؟ مستحيل ، حتى اذا كان هانز فى صفى . ولكن الأيسلندى كان يبدو عديم الارادة . فلا أستطيع فعل أى شىء مع خادم دائم الطاعة لسيده . فليس أمامى سوى الامتثال . لذا كنت على وشك أخذ مكانى المعتاد فوق الطوف عندما منعنى عمى بيده ، وقال :

ـ لن نقلع حتى الغد . لقد ألقت بنا العاصفة فوق هذا الجزء من الساحل ، وسوف لا أغادره بدون أن أفحصه .

لقد عدنا ، بالطبع ، الى الساحل الشمالى ، ولكن ليس للمنطقة التى بدأنا منها . لذلك رغب البروفسير فى فحص هذه المنطقة .

فقلت :

ـ فلنبدأ اذن .

كانت هناك مسافة بين الشاطىء والجدار الصخرى الذى يقف من خلفنا . وسرنا لمدة نصف ساعة قبل أن نصل الى سفح التلال . كانت هناك آثار تدل على أن هذا هو الساحل الحقيقى للبحر فى وقت ما . سرنا على طول هذا الساحل القديم ، نتطلع الى كل شىء بانتباه شديد . وفكر البروفسير أنه قد يعثر على فتحة ما .

وبعد فترة انتهت الصخور ، وشـاهدنا أمامنا أرضا منبسطة واسعة الامتداد . كانت مغطاة بالعظام ، فقمنا بفحصها . كان تاريخ الحياة فى عالمنا منشورا

أمامنا ٠ وكانت العظام لحيوانات لم تعد تعيش على الأرض الآن ٠٠

حاول أن تتخيل انفعالنا ٠ القى عمى بذراعيه الى أعلى فاغرا فاه ، محركا رأسه من أعلى الى أسفل ، ومن اليمين الى اليسار ٠ كان اندهاشه عظيما ٠

وسرنا لمدة نصف ساعة أخرى فوق كتل العظام هذه ، مكتشفين عجائب جديدة فى كل خطوة ، الى أن ابتعدنا بعض الشيء عن البحر ٠ ولاحظت شيئا غريبا أثناء سيرنا : كنا بلا ظلال ! والضوء الذى كان قويا جدا ، كان لا يأتى من مكان محدد ٠

وبعد سيرنا حوالى ميل آخر ، وجدنا أنفسنا على مشارف غابة ، لم تكن من عيش الغراب هذه المرة ٠ كانت الأشجار تخص عصورا قديمة ، ولكن ليس لها لون ، فالأوراق ليست خضراء ٠٠ والأزهار كلها رمادية ٠ وسار عمى فى هذه الغابة ، وتبعته فى خوف ٠ لأننا اذا كنا رأينا هنا أشجار ونباتات العصور

الماضية ، فلم لا نرى أيضا بعضا من حيوانات الماضي المخيفة ؟

وفجأة توقفت وأوقفت عمي . لقد أظهر لنا الضوء كل شيء بوضوح تام . حتى في أعماق الغابة . تخيلت أنني رأيت ... أجل ! رأيت . بالفعل . شكلا مهولا يتحرك تحت الأشجار ! كان فيلا كبيرا مغطى بشعر طويل . انه الماموث (١) ! .. فيل عصر الجليد ! .. وكان هناك ماموث آخر ، وآخر . وآخر .. كان هناك ما يزيد عن عشرين منهم . كانوا يمزقون فروع الأشجار ، وهم يتحركون ، فقال عمي :

ــ تعال ، دعنا نقترب منهم ونتفحصهم جيدا .

فقلت :

ــ لا ، هذا خطر جدا . ليس لدينا بنادق . وماذا نفعل لانقاذ أنفسنا اذا رأتنا هذه الحيوانات ؟ لا يوجد انسان يجرؤ أن يقترب منها .

(١) حيوان منقرض يشبه الفيل الضخم .

فقال عمى :

ـ لا يوجد انسان ؟ انك مخطىء يا أكسيل ٠ أنظر هناك !

أعتقد أننى أرى انسانا ! انسانا شبيها لنا !

لم أستطع أن أصـــدق هذا ٠ ولكنها حقيقة ! كان رجلا مستندا على فرع من فروع الشجر ، على بعد حوالى ربع ميل !

ولكن من يرعى كائنات ضخمة كهذه لابد أن يكون ضخما أيضا ٠ وكان هذا الرجل الذى يرعى الماموث لا يقل ارتفاعه عن اثنى عشر قدما ٠ وكان شـــعره أشعث طويلا مثل شعر هذه الأفيال ٠

وقفنا هناك وكأننا تحولنــــا الى أحجار ٠ وربمـــا يرونا ٠ يجب أن نذهب ، ونذهب بسرعة ٠

وصرخت فى عمى :

ـ تعال ! تعال !

وسحبته معى ، ولأول مرة يســـمح عمى بأن يسحبه أحد ٠ وبعد ربع ساعة كنا بعيدين سالمين ٠

انسان له شعر اشعث طويل مثل شعر الأفيال

والآن وأنا أفكر فى كل شيء بهدوء بعد مرور كل هذه الشهور ، اذن ماذا أقول ؟ وما الذى أعتقده؟ انه يبدو مستحيلا • هل التقطت عيوننا اشـــياء كانت غير موجودة • هل يمكن لأناس أن يعيشـوا! فى هذا العالم السفلى ، بدون أن يعرفوا أى شيء عن العالم العلوى ؟

على كل ، فلقد ركضنا •• ركضنا كالمجانين ؛ وعثرنا على طريقنا فى بحر ليدنبروك ثانية •

وبالرغم من تأكدى من أن هذه المنطقة ليست هى الأرض الى بدأنا منها رحلتنا بالطوف ، الا أننى لاحظت مجموعات الصخور التى يبدو أننى رأيتهـا من قبل ، كانت كلها غريبة جدا ومن الصعب أن تعقل ••• مئات من المجارى المائية تسقط من الصخور ، وتجرى الى البحر ! وتخيلت أننى رأيت الهانزباخ ، والكهف الذى عدت الى وعيى فيه ، بعد سقوطى •

ولم يفهم عمى أيضا شيئا ، وقلت :

– حسن ، على الأقل لم نهبط الى البقعة التى بدانا منها . لقد قذفت بنا العاصفة الى مكان أعمق، واذا تبعنا الشاطئ . فسوف نأتى الى نقطة بدايتنا .

فقال عمى :

– اذا كان هذا هو الحال ، فلا داعى لنا أن نتحرك . وأفضل شىء يمكن أن نفعله هو العودة الى الطوف . ولكن هل أنت متأكد من أنك على صواب يا اكسيل ؟

قلت :

– من الصعب أن أكون متأكدا يا عمى ، فكل الصخور متشابهة ، ومع ذلك يبدو لى أننى أعرف المكان الذى شيد فيه هانز طوفنا .

– لا يا اكسيل . اذا كان الأمر كذلك ، لكنا شاهدنا علامات لوجودنا هنا من قبل ، ولا أرى شيئا من هذا القبيل .

فقلت :

ــ ولكنى أرى شيئا !

وركضت نحو شيء ملقى على الرمل .

ــ ما هذا ؟

قلت :

ــ انظر !

وأعطيت عمى السكين الذى التقطه ، **فقال عمى**

ــ أكسيل ، هل أحضرت هذا السكين معك ؟

ــ أنا ؟ لا . ولكن ربما أنت ...

ــ كلا ، أنا لم أحضرها بالتأكيد ، لم يكن عندى مثل هذا السكين .

ــ شيء غريب !

ــ حسن ، لا ! على كل حال هذا شيء بسيط

جدا يا أكسيل . فالأيسلنديون عندهم سكاكين من هذا النوع . لا بد أن هانز قد أحضرها معه وسقطت منه هنا . لاشك أنها تخصه .

فهززت رأسي . لم يكن لهانز أي شيء من هذا النوع ، فقال عمي :

ــ أكسيل ، انها ليست لك وليست لي ولا لهانز انها ملقاة هنا لمدة ثلاثمائة عام ! لقد جاء الى هنا شخص ما قبلنا ، لقد حفر اسمه في مكان ما على الصخر بسكينه ! لقد أراد مرة أخرى أن يعلم الطريق الى المركز ! دعنا ننظر في كل مكان !

وسرنا بمحاذاة جدار الصخر المرتفع ، ناظرين الى كل شق قد يكون بداية لممر جديد . وأخيرا ، وصلنا الى مكان يلامس البحر فيه الجدار الصخري . ورأينا بين قطعتين من الصخر كانتا بارزتين فتحه ممر مظلم .

وظهر محفورا على الصخر ، الحرفان اللذان رأيناهما من قبل . فصرخ عمي :

ـ أ ٠ س ٠ ! « آرنى ساكنوسيم » ! دائما آرنى ساكنوسيم !

منذ بداية سيرنا وأنا أقابل ما يدهشـــنى، حتى أننى أعتقدت أنه لن يوجد ما يدهشنى بعد ذلك ولكن عندما شاهدت هذين الحرفين محفورين منـــذ ثلاثمائة سنة ، وقفت مشدوها فى حالة قريبـــة من الجنون ٠ فالمسافر العظيم لم يحفر اسمه هناك فقط، بل وفى يدى السكين الذى حفره به !

اذن فالأمر كان حقيقة !

وبينما كانت هذه الأفكار تمر بخاطرى ، كان البروفسير يتكلم ، وكأنه مع آرنى ساكنوسيم نفسه، صرخ قائلا :

ـ انك لرجل عظيم ٠ لم تنس شيئا قد يخدم كمرشـد للآخرين الذين قد يرغبون فى متابعتك ٠ لقد فعلت كل شيء لتسهل مهمة اقتفاء أثرك ٠فاسمك محفور من مكان الى آخر ، يبين لنا أين وكيف نتبعك

واعتقد أننى سوف أجد اسمك محفورا فى صـــخرة عند مركز الأرض · حسن ، فأنا أيضا سوف اكتب اسمى هناك ·

هذا ما ســمعت عمى يقوله ، وكان انفعـــالى الشخصى يزداد فى كل لحظة · وبدأت نار تحترق فى داخلى · ونسيت كل شىء · نسيت أخطار الرحلة ، وأخطار العودة · فالذى قد فعله انسان آخر ، لا أجرؤ أن أفعله ، ولا شىء يبدو مستحيلا · **فصرخت :**

ـ الى الأمام ! الى الأمام !

وقفزت نحو الممر المظلم ، قبل البروفسير الذى اعتاد أن يكون أول من يتقدمنا ، **وقال :**

ـ انتظر يا اكسيل ، يجب أن نعود الى هانز أولا ، ونحضر الطوف الى هنا ·

فامتثلت وتراجعت مسرعاً ، **وقلت :**

ـ هل تدرى يا عمى أن جميع الأشياء العرضية كانت من يمن الطالع بالنسبة لنا ؟

– هل تعتقد ذلك يا أكسيل ؟

– فعلا ، كل شيء حتى العاصفة ، ساعدتنا في وضعنا على المسار الصحيح · فيالروعة هذهالعاصفة! لقد أتت بنا الى الساحل الذى كان سيبعدنا عنـــه الطقس الجميل · تخيل أننا وصلنا الشاطىء الجنوبى لبحر ليدنبرك ، فماذا كان سيحدث · كنا لن نرى اسم ساكنوسيم مطلقا ، وكنا سنذرع الشاطىء جيئة وذهابا بدون أن نعثر على أية فتحة فيه ·

– نعم يا أكسيل ، انه لشيء مدهش الذى أرشدنا الى طريقنا ، شيء أتى بنا ، نحن الذاهبين الى الجنوب، مرة أخرى عائدين للشمال ·· أنه أكثر من مدهش . ولا أستطيع أن أفهمه ·

فقلت :

– وماذا فى ذلك ؟ ليس من الضرورى بالنسبة لنا أن نفهم كيف كنا نســتدل على طريقنا ، ولكن علينا أن نستفيد أفضل الاستفادة من حسن حظنا ·

ـ بالتأكيد يا بنى ، ولكن ...

ـ ولكننا سوف نذهب الى الشمال ثانية . وسنمر تحت دول شمال أوربا بدلا من الذهاب تحت أفريقيا .

ـ نعم يا أكسيل ، انك على صواب ، وأفضل شيء يحدث لنا ، لأننا سوف نترك هذا البحر الذى نضيع فيه . وسوف نهبط الى تحت ، تحت ، ودائما تحت ! هل تعلم أن أمامنا ٤٥٠٠ ميل فقط ؟

فقلت :

ـ ٤٥٠٠ ميل فقط ، هذا لا شيء . فلنبدأ فى الحال !

وأخذنا نتحدث بهذه الكيفية المجنونة الى أن عدنا الى الطوف . وكان كل شيء معدا لنا للبدء فى الحال . وأخذنا أماكننا على الطوف ، ورفعنا الشراع ، وأخذ هانز يبحر بنا بمحاذاة الساحل .

ووصلنا فتحة الممر عند الساعة السادسة مساء • فقفزت على الشاطىء ، ومن بعدى البروفسير ، ثم الأيسلندى ، وصحت قائلا :

— هلم بنا !

فقال عمى :

— نعم ، ولكن ليس قبل أن نفحص هذا الممر الجديد ، حتى على الأقل لنرى اذا كان علينا أن نجهز سلم الحبل •

كان عرض الفتحة حوالى خمسة أقدام • هذا ، اذن ، هو الممر الذى كان سيؤدى بنا الى مركز الأرض هل هو منحدر بشدة فى الحال ؟ هل هو يشبه المدخنة الهابطة الى أسفل فى استقامة ؟ أم يجب علينا أن نقضى ساعات وأياما أو أسابيع طويلة ، بدون أن نقترب من مركز الأرض ؟ لقد حصلنا على اجابة فورية على هذه الأسئلة •• أسرع مما كنا نتوقع !

لم نقطع سوى بضعة خطوات عندما وجدنا أمامنا

صخرة ضخمة تضع نهاية مفاجئة وغير متوقعة على الاطلاق للممر · ونظرنا الى اليسار والى اليمين ، الى أعلى والى أسفل · لم يكن هناك أى شك فى ذلك ، فهذا الممر ، الذى سوف يقودنا ٢٥٠٠ ميل الى أسفل لمركز الأرض، كان طوله عشرين قدما فقط ، وبعد ذلك ينتهى ·

كنت حزينا لما أصابنى من خيبة أمل · ورفضت تصديق الحقائق · وانحنيت لأنظر من تحت الصخر · لم يكن يوجد هناك ولا حتى شرخ واحد · وكان نفس الشىء من أعلى · والقى هانز بضوء مصباحه على طول الجدار ، ولكنه لم يجد شيئا يساعدنا · ماذا كان علينا أن نفعل ؟ ألم يكن هناك شىء سوى الاستسلام ، وفقد الأمل فى المرور ؟

وجلســـت على الأرض · وأخذ عمى يذرع الممر الصغير ذهابا وايابا ! وسألت :

ـ ما الذى فعله ساكنوسيم ؟

فقال عمى :

ـ آه ، نعم ! هل أوقفته هذه الصخرة ؟

فصرخت فى حماسة :

ـ لا ! لا ! لابد أن هذه الصخرة قد أغلقت هذا الممر بعدما مر ساكنوسيم من هنا • فلقد انقضت سنون كثيرة من بعدها • ساكنوسيم وجد الطريق مفتوحا ، ونحن وجدناه مقفولا • فلابد أن نفتحه مرة آخرى • واذا لم نفعل أو لم نقدر ،فنحن لسنا جديرين بالوصول الى مركز الأرض !

فقال عمى :

ـ حسن ، يجب أن نشق طريقنا بالمعاول • هلم بنا نهدم هذا الجدار •

ـ أنه جامد جدا والمعاول لا تؤثر فيه • ما رأيك فى البارود ؟

فقال عمى :

ـ البارود ، طبعا ، دعونا ننسف هذه الصخرة • هانز ، احضر البارود •

ذهب الأيسلندى عائدا الى الطوف ، وجاء بمعول ليستطيع به أن يعمل فتحة لنضع فيها المسحوق • لابد أن تكون الفتحة كبيرة ، لتسع خمسين رطلا من البارود

كنت فى حالة شديدة من الانفعال ، وقلت :

ـ سوف نمر !

وقال عمى :

ـ بالتأكيد •

وعند الساعة الثانية عشر مساء كنا قد انتهينا • ووضعنا البارود داخل الفتحة ، ثم قال البروفسير :

ـ دعونا ننتظر حتى الغد •

الغد ؟ اننى أنا الذى أصبحت نافد الصبر ، وعمى هو الشخص الذى يريد أن ينتظر • ولا شىء يمكن فعله • وكان على أن أوافق وأنتظر ست ساعات طوال •• !

الفصل الرابع عشر

في البركان

اليوم التالى ٢٧ اغسطس ، كان يوما لا ينسى . ومنذ تلك اللحظة لم يعد لعقلنا ولا لحكمنا أى حساب . ولم نفعل شيئا سوى أن نسلم انفسنا لرعاية الهواء ، والنار ، والماء .

وفى الساعة السادسة كنـا مستعدين . وضعنا فتيلا يستغرق عشر دقائق ليحترق من أوله الى نهايته وطلبت أن أكون المسئول عن اشعال هـذا الفتيل .

وعندما فعلت ذلك ، كان على ان ألتحق برفيقى على الطوف . ثم نبتعد بعد ذلك لننتظر الانفجار عن بعد .

وذهب عمى وهانز على الطوف ، ومكثت أنا على الشاطىء ، وقال عمى :

ــ هيا اذهب الآن يا ولدى ، وعندما تنتهى من عملك تعال الينا فى الحال .

ــ تأكد واطمئن تماما يا عمى أننى لن أقف فى الطريق .

ذهبت الى فتحة الممر ، وأخذت طرف الفتيل . وكان البروفسير يحمل جهـــاز الكرونومتر فى يده . وصرخ :

ــ مستعد ؟

فأجبت :

ــ مستعد !

وأشـــعلت الفتيـــل ، وبقيت الى أن تأكدت من

صلاحية الاشتعال ، ثم ركضت عائدا الى الطوف ، وأخذت مكانى عليه ٠

وانطلق هانز بالطوف الى مسافة مائة قدم من الشاطىء ، ونظر البروفسير الى الكرونومتر ، وقال :

- باقى خمس دقائق أخرى ! أربع ! ثلاث ٠

كانت لحظة مثيرة ٠

- اثنان ! واحد ٠٠ والآن ، اسقطى يا صخور !!

ماذا حدث ؟ لا أعتقد أننى سمعت انفجارا ٠ ولكن بدا شكل الصخر يتغير أمام عينى ، وأخذت أحملق لأرى الحفرة تزداد اتساعا وتنفتح على الشـــاطىء ٠ اهتز البحر وكون موجة عظيمة واحدة ٠ وانحسر الطوف على جانب هذه الموجة ٠

وسقطنا نحن الثلاثة ٠ وفى لحظة واحدة أصبحنا فى ظلام دامس ٠ وكان الماء يحملنا الى الحفرة ٠ خيل لى أننـــا سننطلق هابطين فى مسقط مائى ٠ وحاولت

أن أتكلم مع عمى ، ولكن هدير الماء جعل ذلك مستحيلا فصوتى لا يسمع • وحملتنا المياه فى سرعة مجنونة •

وبالرغم من الظلام ، والخوف الذى انتـــابنى ، أدركت ما قد حدث • كانت هناك حفرة عميقة فى الجانب الآخر من الصخرة التى قد فجرناهـــا ، وكان البحر يندفع هابطا فى هذه الحفرة ، حاملا معه كل شىء ، ونحن ضمن ذلك الى مركز الأرض •

مرت ساعة ، ساعتان •• ومن يدرى كم ساعة مرت بهذا الشكل ؟ ظللنا ملتصقين ببعض وممسكين بأيدى بعضـــنا البعض حتى لا نسـقط من الطوف • وأحسسنا بهزات غاية فى العنف عندما لامس الطوف الجدار ، ولكن لم يحدث ذلك الا مرات قليلة ، ومعنى ذلك ان الممر كان يزداد اتساعا • كان هذا بالتأكيـد الطريق الذى سار فيه ســـاكنوسيم ، ولكن بدلا من الهبوط فيه بمفردنا ، فلقد أخذنا البحر كله معنا •

كنا نسير بسرعة تفوق أسرع قطار • لقد تحطمت مصـــابيحنا الكهربائيـة لحظة الانفجار نفسها وكانت

من حالة مفزعة ! ومع ذلك ما الفائدة ؟ فلنفرض أن لدينا طعاما يكفى لشهور ، كيف لنا أن نهرب من هذا الممر المظلم أو من الماء الذى يدفع بنا الى أسفل هذا الممر ؟ لماذا يجب أن أخشى من الجوع ، بينما كان الموت بأشكال أخرى كثيرة قريبا منا جدا ؟ فمن المحتمل الا يكون لدينا الوقت لنموت من الجوع !

هل هناك أية امكانية فى رجوعنا الى سطح الأرض مرة ثانية ؟! .. لم تكن هناك أية امكانية على الاطلاق .

فكرت أن أطلع عمى على كمية الطعام الضئيلة التى لدينا ، ولكنى لم أفعل . وبدأ نور المصباح يخبو فى تلك اللحظة ، ثم انطفأ فجأة . وعدنا مرة أخرى الى ظلام دامس .

ومر وقت طويل ، وبدا أننا نسير أسرع مما كنا نسير من قبل .وأصبح تل الماء أكثر انحدارا .. وفجأة شعرت بصدمة . لم يصطدم الطوف بأى شىء صلب، ولكنه توقف فجأة ، وكانت المياه تسقط علينا ، وكدت

دهشتي عظيمة عندما رأيت ضوءا مشتعلا بجانبي فلقد نجح هانز في اشعال مصباح من الزيت · كان الممر واسعا ، كما كنت أظن · لم يسمح لنا المصباح الضعيف برؤية كلا الجدارين في وقت واحد ·

وتطلع عمي وأنا كل منا الى الآخر ، بوجوه قلقة ونحن ممسكون ببقايا الصارى الذى كان قد انكسر في وقت الانفجار · وأدرنا ظهورنا للاتجاه الذى نسير فيه ، وأمكننا بهذه الطريقة أن نتنفس ·

ومرت الساعات ·

ثم اكتشفنا أتعس ما قد نتخيله ، لقد فقدنا معظم ممتلكاتنا · وأردت أن أعرف كم بقى وما هى · ولذا قمت بفحص الأشياء التى على الطوف بالمصباح الذى أمسكته فى يدى · لم يبق من أجهزتنا سوى البوصلة والكرونومتر ·والحبل الوحيد الذىبقى هو الحبل القصير الذى كان مربوطا فيما تبقى من السارية · مع ضياع كل الأدوات حتى المعول ·· وكان هناك ما هو أسوأ من ذلك ·· كان لدينا طعام يكفى ليوم واحد فقط · يالها

أغرق ! ولكن لم تدم هذه السقطة المائية طويلا • وكنت بعد لحظات قليلة أستنشق أنفاسا طويلة من الهـــواء النقى •

أعتقد أنها كانت الساعة العاشرة مساء ، عندما لاحظت فجأة انه لم تعد هناك أية ضوضاء • لقد توقف هدير الماء • وأخيرا سمعت عمى يتكلم ، **حيث قال :**

ــ اننا نصعد !

فصرخت :

ــ ماذا تقول ؟

ــ أقول أننا نصعد !

ــ كان ذلك صدقا • كنا نصعد بسرعة فائقة •

ــ ماذا عن المصباح الآن • ألا يمكننا اشـــعاله مرة أخرى ؟

أجل ، كان من الممكن عندئذ أن نشعله ، **وقال البروفسير :**

– تماما كما فكرت ، اننا فى مدخنة عرضها أقل من ٢٤ قدما ٠

لقد وصل الماء الى القاع ، والآن سيصعد ثانيـة بطبيعة الحال ، وسوف نصعد معه ٠

– الى أين ؟

– لا أدرى ، ولكن لابد أن نستـــعد لأى شىء ٠ أننا نصعد بمعدل اثنى عشر قدما فى الثانية ٠٠ لنقل ٧٢٠ قدما فى الدقيقة ، أو تســـعة أميال ونصف فى الساعة ٠

فسألت :

– الى أى مدى سنستمر على هذه الحال ؟ وهـل لهذا البئر أية فتحة فى القمة ؟ ٠٠ اذا لم تكن هناك فتحة ، فسوف نسحق بسبب وزن الهواء ٠

فقال عمى بهدوء شديد :

– اكسيل ، ان موقفنا مخيف بالتأكيد ،

ولكنه ليس ميئوسا منه · قد نقتل فى أية لحظة ،ولكن فى أية لحظة قد ننجو أيضا ، لذلك فلنستعد لكى نساعد أنفسنا ، اذا كانت هناك أية امكانية لفعل ذلك ·

– وكيف لنا أن نفعل ذلك ؟

– يمكننا ، على أية حال ، أن نقوى أنفسنا بالأكل ·

وعند هذه الكلمات ، تطلعت الى عمى بوجه تعيس وقلت مستفسرا :

– نأكل ؟

– أجل ، فى الحال ·

وأضاف البروفسير بعض الكلمات باللغة الدنماركية ·· فهز هانز رأسه ·

وقال عمى :

– ماذا ! هل ضاع طعامنا ؟

ـ أجل ، كل ما تبقى لنـــا هو قطعة من اللحم المجفف ٠

فنظر عمى الى بشكل يائس ، وقلت :

ـ هل ما زلت تعتقد أننا سننجو ؟

ولم يحظ سؤالى باجابة ٠

ومرت ساعة ٠ وكنت أقاسى من الجوع ٠ وكان رفيقاى يقاسيان أيضا ، ولكن لم يلمس أحد منا الطعام القليل الباقى لنا ٠

واصلنا الصعود بسرعة شديدة ٠ وأخذ الهواء يزداد حرارة ٠

وماذا كان يعنى هذا ؟

فقلت للبروفسير :

ـ اذا لم نمت غرقا ولا سـحقا ، واذا لم نمت جوعا فلدينا امكانية الموت حرقا ٠

ولم يجب البروفسير ٠

ومرت ساعة ، ولم يحدث أى تغيير ، فيما عـدا ازدياد الحرارة •

واخيرا قال عمى :

ـ تعال ! ٠٠ يجب أن نأكل ٠ اذا وفرنا الطعام القليل الذى لدينا لكى يعطينا مزيدا من الســاعات القليلة من الحياة ، فسنجعل أنفسنا أضعف فى النهاية

ـ نعم ، فى النهاية ٠٠ انها قريبة جدا ٠وعندما تنتهى هذه القطعة من اللحم ، ماذا سيكون لنا ؟

ـ لا شىء يا اكسيل ، لا شىء ٠

ـ اذن ، فانت بلا أمل ؟

ـ لا ، أنت مخطىء ، فانا لا أفقد الأمل اطلاقا ٠٠ اننا لازلنا أحياء ، وطالما هناك حياة ، هناك أمل !

من يتوقع أن يقول عمى شيئا كهذا ؟!

فقلت :

ـ حسن ، ما هى خطتك ؟

ـ ان نأكل ما بقى ، ونستعيد قوتنا المفقودة ٠ قد تكون آخر وجباتنا ، حقا ، ولكنها ستعطينا قوة ، على الأقل ، لمواجهة النهاية ٠

فقلت :

ـ حسن جدا ٠

وأخذ عمى الطعام الباقى وقسمه الى ثلاثة أجزاء بالتساوى ٠٠ حوالى رطل واحد لكل منا ٠٠ وأكل البروفسير جيدا وبسرعة ٠ أما أنا فبالرغم من جوعى أكلت بصعوبة وبدون أية متعة ٠ وأكل هانز فى هدوء وصمت ٠

وانتهت آخر وجبة طعام لنا ٠ وأصبحنا أفضل وأقوى ٠٠ كانت الساعة عندئذ الخامسة صباحا ٠

وكان كل منا غارقا فى أفكاره الخاصة ٠٠ ترى ما الذى كان يفكر فيه هانز ؟ ٠٠ من يدرى ؟ أما بالنسبة لى ، فكانت أفكارى ما هى الا ذكرياتى التى حملتنى الى سطح الأرض ، الذى كان لا يجب أن أتركه

على الاطلاق ·· حملتنى الى البيت فى شارع كونيج ، والى جروبن ومارتا خادمتنا الطيبة ·

وعمى المشغول دائما ، كان يتفحص الصخور · كان يحاول أن يكتشف أين كنا عن طريق معرفة ماهية هذه الصخور وكيف كانت مرتبة ·

ـ ما زلنا فى الأعماق ، ولكننا لا زلنا نصعد ·

لم أستطع أن أقاوم الدهشة لملاحظة التغيير الدى حدث لعمى · لقد كنا نصعد ·· وكان سعيدا · ومنذ فترة قصيرة كان الشىء الذى يجعله سعيدا هو الهبوط ·

كانت الحرارة تزداد رويدا رويدا · فسألت عمى :

ـ هل اقتربنا من الصخور المشتعلة ؟

فقال عمى :

ـ لا ، هذا مستحيل !

فقلت وانا ألمس الجدار :

ــ ومع ذلك ، فهذه الصخرة حارة ٠

وعندما كنت أتكلم لمست يدى الماء ، فسحبتها بسرعة ٠

ــ ان الماء يغلى !

وفى هذه المرة أجاب البروفسير ، بحركة غاضبه فقط ٠ **ومن تلك اللحظة أصبحت أكثر خوفا** ٠ وتوقعت شيئا فظيعا يحدث فى أية لحظة ٠ ما هو ؟ لم أكن ادرى لم أكن أقدر على أن أعبر عنه ٠

ونظرت الى البوصلة ، وللحظة لم يهدأ المؤشر **ظل يلف ويدور ٠**

ثم سمعت أصواتا تشبه الانفجارات البعيدة ٠ ونظرت الى طبقات الصخر التى كنا نمر من خلالها ، وبدت لى أنها كانت تهتز أحيانا ٠ كانت تلك الجدران الصخرية على وشك أن تتحرك وتتداخل فتسحقنا حتى الموت ٠

وصرخت :

– عمى ! عمى ! لا أمل !

فاجاب بهدوء عجيب :

– ماذا حدث لك الآن ؟

– ماذا حدث لى ؟ أنظر الى هذه الجدران المتحركة أنظر الى هذا الماء الساخن ، تحسس هذه الحرارة الرهيبة ·· كل علامات الزلزال !

فما كان من عمى الا أن هز رأسه بلطف ، وقال :

– زلزال ؟

– أجل ·

– يا بنى ، أعتقد أنك مخطىء ·

– ماذا ! انك لم تلاحظ العلامات ؟

– علامات الزلزال ؟ كلا ! اننى أتوقع أفضل من ذلك !

– ماذا تقصد ؟

ـ أقصد بركانا يا أكسيل !!

فقلت :

ـ بركان ! اذن فنحن فى وسط بركان نشط !

فقال عمى مبتسما :

ـ نعم ، أعتقد ذلك • ربما كان ذلك أفضل شيء قد يحدث لنا •

ـ أفضل شيء ؟

هل كان عمى مجنونا ؟ ماذا كان يقصد ؟ لماذا هذا الهدوء الباسم غير الطبيعى ؟

وقلت :

ـ ماذا ؟ هل سجنا فى بركان ، وسقطنا فى مدخنة من اللافا المحترقة ، وصخور من نار ، ومياه تغلى ، وبخار حار • سوف نطلق الى أعلى فى الهواء مع الصخور ، وتقول أن ذلك أفضل ما يمكن أن يحدث لنا !

فقال البروفسير :

– أجل ، انه الأمل الوحيد لوصولنا الى السطح ثانية •

كان عمى على صواب : انه كان بالتأكيد أملنا الوحيد للوصول الى السطح ثانية •

وكنا لا نزال نصعد ، ومر الليل • وزادت الضجة ارتفاعا • وأصبح من المستحيل التنفس ، وظننت أن ساعتى قد حانت •

كان من الواضح أن ضغطا بركانيا هو الذى يدفعنا الى أعلى ، وكان تحت الطوف ماء حار يغلى ، ومن تحت الماء سائل اللافا ، الذى سوف يتناثر فى كل اتجاه عند وصوله للفوهة • كنا فى مدخنة بركان • لم يكن هناك شك فى ذلك •

ولكن هذه المرة ، بدلا من سنيفيل ، الذى كان بركانا قديما خامدا ، كنا فى بركان نشط ! وبدأت أتساءل أى جبل كان ذلك ، وفى أى جزء من الأرض سوف ننطلق ؟

لقد كنا ، بالطبع ، فى الشمال . هـــل عدنا فى اتجاه أيسلنده ؟ هل كنا فى طريقنا للخروج من فوهة هيكلا أو من احدى الفوهات الســـبع الاخـــرى فى الجزيرة ؟

وفى بداية الصباح المبكر وجدنا أنفســنا نزداد سرعة فى صعودنا . وازدادت الحرارة كلمـــا أزددنا قربا من السطح .

ولم يعد هناك ماء من تحتنا ، كانت كتلة كثيفة سائلة من المواد المحترقة .

وعند حوالى الساعة الثامنة حـــدث شيء غريب جدا : توقفنا .. **فسألت :**

ـ ما هذا ؟

فاجاب عمى :

ـ لقد توقفنا .

ـ هل انتهى الانفجار ؟

ـ آمل ألا يكون قد انتهى .

فنهضت واقفا · وحاولت أن أستطلع الأمـــر · ربما قد تعلق الطواف برأس صخرة بارزة · ولكن لا · لقد توقف كل شيء ، ليس فقط الطـــوف ، بل حتى المادة السائلة الرخوة أيضا · وقال عمي :

ـ كن صبورا يا بني ، فهذا الهدوء لن يستمر طويلا · لقد مرت خمس دقائق ، وسيبدأ الصعود من جديد بعد قليل ·

كان يتطلع ، وهو يتحدث ، الى الكرونومتر · كان على حق · اذ بدأ الطوف يتحرك الى أعلى ثانية فى الحال · واستمرت الحركة دقيقتين ، ثم توقفنا مـــرة أخرى ، فقال عمي :

حسن ! بعد عشر دقائق سنبدأ مرة أخرى ·

ـ عشر دقائق ؟

ـ نعم ، أنه من تلك البراكين التى تنفجر كل عشر دقائق · ان ذلك يدعنا نتنفس ·

هذا صحيح ، فبعد عشر دقائق انطلقنا مـــرة

أخرى · وتحـــركنا بسرعة كبيرة حتى أننـــا تشبثنا بالطوف بشكل محكم ، لكيلا نسقط منه · ثم توقف الضغط مرة أخرى ·

كم عدد المرات التى حدث فيها ذلك ؟ لا يمكننى القول · أعرف فقط أن القوة كانت أشد فى كل مرة نبدأ فيها · وكانت الحـرارة تزداد طـــول الوقت · وفكرت لحظة ، أية سعادة سنكون لو وجدنا أنفسنا بين الجليد والثلج فى أقصى الشمال · وبدأت أفقـــد الوعى بالتدريج ·· صدمة بعد صدمة ، مع الحـرارة المخيفة التى أصابتنى بالضعف ، واذا لم يعتن بى هانز، لكانت رأسى قد سحقت أكثر من مرة فى الجـــدار الصخرى ·

ليست لدى فكرة واضحة عما حدث فى الساعات التالية لذلك · لدى فكرة عامة لضجة لم تتوقف مطلقا والطوف يلف ويدور على بحر اللافا الذى دفع به الى أعلى · وكانت النار المزمجرة من حوله · وآخر مـــا أتذكره هو وجه هانز متوهجا بالضوء الأحمر الساطع ·· ضوء النار !

الفصل الخامس عشر

الخروج من البركان

عندما عدت الى وعيى ثانية ، فتحت عينى ، لأجد مرشدنا يمسك بى بيده القوية ، ويمسك عمى بيده الأخرى · لم أصب بشكل خطير ، لكننى كنت مرهقا جدا جدا ·

كنت راقدا على جانب جبل على بعد خطوتين من مكان تبعد فيه الأرض الى عمق آلاف الأقدام · لو كنا قمنا بأية حركة لكنا قد سقطنا · لقد أنقذنا هانز مرة

أخرى . ومع تحريك أيدينا وركبنا بحذر شديد جدا، وصلنا الى مكان آمن ، وأمكن لنا أن ننظر حولنا .

أولا ، رأينا أن السماء الحقيقية فوق رؤوسنا ، لاسماء مصنوعة من الصخور . فلأول مرة منذ اثنين وستين يوما استطعنا أن نرى السماء . وهكذا عدنا مرة أخرى فوق سطح الأرض . ولكن أين ؟

كان يبدو على عمي أنه غير سعيد لاكتشافه بأنه على سطح الأرض ثانية ، **فاستفسر قائلا :**

ـ أين نحن ؟

قام هانز بحركة ليبين أنه لا يعرف ، **فسألته :**

ـ فى أيسلنده ؟

ـ ناى !

فصرخ البروفسير :

ـ ماذا ؟ لا ؟

فقلت :

ــ ان هانز مخطىء

لقد واجهنا الكثير من المفاجآت المدهشة خــلال رحلتنا ، ولم تكن هذه أقلها · لقد توقعنا أن نرى قمة البركان مغطاة بالثلج والجليد ، مثل سنيفيل ، فى منتصف البلد الشمالى البارد · ولكننا هنا كنا عــلى جانب جبل جاف لفحته حرارة الشمس · ولم أستطع أن أصدق عينى ، ولكن لا شك فى ذلك !

وكان البروفسير أول المتكلمين :

ــ على كل ، أنها لا تشبه أيسلنده · أنه ليس بركانا شماليا ·

كانت حافة الفوهة التى قد انطلقنا منهــا فوق رؤوسنا على بعد يزيد عن ٥٠٠ قدم · وكانت الاحجار تخرج طائرة كل عشر دقائق مع انفجار صاخب · كنت أستطيع أن أشعر بالحركة · ومن تحتنا الجــوانب المنحدرة للجبل ، التى كانت تبدو لا تقل عن ١٨٠٠ قدم

ارتفاعا . وكان يمكننـــا أن نــرى خضرة الغـابات والحدائق ، على مسافة ليست بعيدة جدا منا .

ليست مثل أيسلنده بالتأكيد ! .. فالبحـــر الأزرق يبدو من خلف الغابات الخضراء . لقد كنـــا على جزيرة صغيرة !

وكانت هناك فى جهة الشرق بعض المنـــازل . وفى البحر تطفو بعض السفن غريبة الشكل ، وعلى مسافة ليست بعيدة . ووراء كل ذلك كان هناك عدد كبير من الجزر . واستطعنا أن نرى أرضـــا بعيدة ، عندما نظرنا تجاه الجنوب ، وكان عليها جبل مرتفع جدا ، وعند قمته سحابة من الدخان الأسود .. !

كان منظرا جميلا فى الحقيقـة ، فظللت اسائل نفسى :

ـ اين نحن ؟ أين نحن ؟

واغلق هانز عينيه : يبدو أنه لم يستمتع بالمنظر وقال عمى :

ـ مهما كان هذا الجبل ، فاننا فى مكان دافيء٠٠ ومكان خطر ، أيضا ٠ وحيث أننا قد جئنا سالمين مـن خلال منتصف بركان نشيط ، فسيكون من المؤسف أن نقتل بصخرة ساقطة ! هلم بنا نهبط ، ثم نكتشف بعد ذلك أين نحن ٠ علاوة على أننى أمـوت جـوعا وعطشا ٠

كان طريق الهبوط منحدرا جـدا ، وكان السير عليه ليس سهلا على الاطلاق ٠ وكنت اتكلم طـوال الوقت أثناء هبوطنا ، **فصرخت قائلا :**

ـ لابد أننا فى آسيا ٠٠ فوق شواطىء الهند ، أو ربما جزر الملايو ٠ لقد عبرنا نصف العالم لنخرج على الجانب الآخر ٠

فقال عمى :

ـ لكن ماذا عن البوصلة ؟

ـ نعم ، طبقا للبوصلة فلقد كنـا ذاهبـين الى الشمال طول الوقت ٠

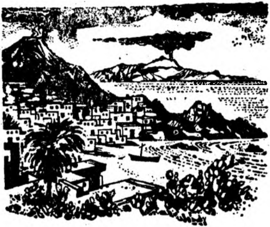

ليست هذه ايسلنده بالتأكيد !

– اذن ، فالبوصلة لم تخبرنا بالحقيقة !

– أوه ، يا عمى ! ألم تخبرنا بالحقيقة ؟

لم أستطع التفكير فى أية اجابة لهذا السؤال .

وكنا عندئذ بالقرب من بلاد جميلة ، وشعرت بالجوع والعطش أيضا . ولحسن الحظ ، وصلنا الى غابة كانت فيها فاكهة باسقة تبدو كأنها تخص كل الناس . كما وجدنا ماء أيضا . فبأية متعة شربنا ، واغتسلنا !

وفجاة ظهر طفل بين الأشجار ، فقلت :

– آه ! هناك شخص ينتمى لهذه الأرض السعيدة !

لقد كان طفلا فقيرا ، بملابس فقيرة المنظر ، ومن الواضح أنه كان فزعا جدا منا .

وعندما بدأ فى الهروب ، ذهب هانز وأحضره ثانية برغم صراخه . وبدأ عمى يهدىء من روعه وساله **باللغة الألمانية :**

– صديقى العزيز ، ما اسم هذا البلد ؟

لا جواب .

فقال عمى :

– حسن جدا . اننا لسنا فى المانيا .

ثم سأل السؤال باللغة الانجليزية .

لا جواب .

فقال عمى :

– اننا لسنا فى انجلترا !

ثم سأل :

– دوفى نوى سيامو (١) ؟

لا جواب .

فقال عمى ، الذى بدأ يغضب :

– ماذا ! ألن تتكلم ؟

---

(١) اين نحن ؟ باللغة الايطالية .

وسحب أذنى الطفل وسأل باللغة الايطالية مرة اخرى :

– ماذا تدعو هذه الجزيرة ؟

فقال الولد الصغير :

– سترامبولى

وركض بعيدا عبر الأشجار . ولكننا لم نكن نحتاجه أكثر من ذلك .

سترامبولى ! ياله من اسم غير متوقع ! وهكذا كنا على جزيرة فى وسط البحر المتوسط . وكانت الجبال الزرقاء جهة الشرق هى جبال كالابريا ! وكان البركان البعيد فى جهة الجنوب هو ايتنا !

يا لها من رحلة مدهشة تلك التى قمنا بهـا ! دخلنا من بركان ، وخرجنا من بركان آخر ، وهذا الآخر على بعد يزيد عن ثلاثة آلاف ميل من سنيفيل لقد غادرنا بلاد الثلج والجليد الجرداء ، ووصلنا الى واحدة من أجمل بلاد الدنيا على الأرض ، ايطاليا !

وبعد أعظم وجبة ترحيب من الفاكهـــة والمـاء ، سرنا فى اتجاه بلدة صغيرة • وفكرنا أنه من الحكمـة الا نخبر الناس هناك من أين جئنا ولا كيف أتينا • كانوا لن يفهموا ، وكان علينا أن نخبرهم ببســـاطه بأننا بحارة ، وان مركبنا قد غرق فى حادث •

وبينما كنا نسير ، **كنت اســمع عمى يقــول لنفسه :**

ـ ولكن البوصلة ! •• كانت تشير دائمـــا الى الشمال ! كيف نفسر ذلك ؟

فقلت :

ـ لا تفسر ذلك ! وارتاح •

ـ يا لها من فكرة ! أستاذ فى الجامعة لا يقــدر أن يجد تفسيرا لشىء كهذا ! مستحيل !

وبعد ساعة من مغادرتنا للغابة الصغيرة وصلنا الى ميناء سان فيشنزو حيث طلب هانز أن يحصــل على أجره للأسبوع الثالث عشر • وأعطاه له عمى فى

سعادة بالغة • وفى هذه اللحظة فعل مرشدنا شيئا لم نره يفعله من قبل أبدا : لقد ابتسم !

وهنا تأتى قصتنا الى نهايتها • لا أحد سوف يصدقها ، بالطبع • ولكن هذا لا يهم • فلقد اعتدت على أناس يرفضون ان يصدقوا أى شيء لا يتفق مع الأشياء التى يريدون أن يصدقوها •

لقد استقبلنا سكان سترومبولى بكرم بالغ • وقدموا لنا الطعام والملبس • وفى ٣١ أغسطس ، بعد اقامة مدتها ثمان واربعون ساعة فقط ، أمكننا أن نبحر الى ميسينا ، حيث جعلتنا بضعة أيام من الراحة ننسى كم كنا متعبين •

وفى يوم الجمعة الرابع من سبتمبر ، غادرنا ميسينا بمركب فرنسية ، بديعة ، ووصلنا بعد ثلاثة أيام الى مارسيليا • كان هناك شيء واحد فقط يزعجنا •• هو الطريقة الغريبة التى عملت بها بوصلتنا •

وفى التاسع من سبتمبر ، فى ساعة متأخرة من الليل ، وصلنا الى هامبورج •

لن أحاول أن أصف دهشة مارتا أو ســـعادة جروبن ٠

وقالت هذه الفتاة الغالية :

– والآن بعد أن أصبحت رجلا مشهورا ، فسوف لا ترغب فى تركى ثانية يا اكسيل ٠

ولا حاجة لى أن أقول ، أن عودة البروفســـير ليدنبروك سببت اثارة فائقة فى هامبورج ٠ وبسبب حديث مارتا ، فقد سمع كل انسان برحلته الى مركز الأرض ، ولم يصدقها أحد ، والآن بعد أن عاد قـــل تصديقهم لها عما قبل ٠

ومع ذلك ، فحقيقة أن هانز كان معنـــا ، مـــع وصول بعض الأخبار من أصدقائنا فى أيســـلنده ، جعلت بعض الناس يصدقون قصتنا ٠

وهكذا أصبح عمى رجلا عظيما ، وكذلك أصبحت أنا ٠٠ وأقامت هامبورج عشاء ترحيب بنا ٠ وكان هناك اجتماع عظيم فى الجامعـــة ، حيث روى عمى

قصة رحلتنا .. ومع ذلك لم يقل شيئا عن البوصلة.
ونفس اليوم قدم المخطوط الذى كتبه ســـاكنوسيم هدية لمكتبة الجامعة .

وبالطبع لأن عمى قد أصبح مشهورا هكذا فقد ظهر له أعداء فى الحال . ولما كانت أفكاره تتفق مع حقائق يمكن اثباتها ، ولا تتفق مع المعتقدات العلمية (التى لم يتم اثباتها) ، فلقد هوجم من قبل رجال يصرخون فى هيستيرية فى كل بلد .

ولقد أصبنا بتعاسة شديدة عندما أبلغنا هانز أنه قد قرر العودة الى وطنه . وطلبنا منه مرات ومرات أن يبقى معنا .. فنحن مدينون له بكل شىء ، نجاحنا وحياتنا . ورفض أن يأخذ أى مقابل . كان متلهفا فقط للعودة للوطن .

وقال فى يوم ما :

ـ « فارفيل » (١) .

وبهذه الكلمة الصغيرة تركنا ورحل الى أيسلنده

---

(١) وداعا باللغة الايسلندية

لقد بدأنا نحب هذا الانسان الشجاع · وبالرغم من أنه بعيد ، فلن ينساه مطلقا من أنقذ حياتهما مرات عديدة ، وأرجو أن أراه ثانية قبل أن أموت ·

لقد أصبحت مع عمى من الرجال العظام · لقد عرفوا اسمينا فى جميع أنحاء العالم ، وأصبحنا مشهورين · لقد أنجزنا عملا هاما من أجل العلم · ومع ذلك فقد كان هناك شىء واحد يزعجنا ، انه بخصوص البوصلة ·· ولن يكون عمى سعيدا أبدا طالما أن هذا الموضوع لم يفسر بعد ·

وفى أحد الأيام ، بينما كنت أعمل فى حجرة مكتبه ، لفتت انتباهى هذه البوصلة بمحض الصدفه· كانت فى مكانها منذ ستة أشهر · ونظرت اليها . ويالها من مفاجأة ! وناديت على عمى :

ــ تعال هنا !

فاسرع عمى نحوى ، وسأل :

ــ ما الخبر ؟

ـ البوصلة ! ان مؤشرها يشير الى الجنوب بدلا من الشمال !

فصاح عمى :

ـ مستحيل !

فاجبته :

ـ أنظر اليها !

فقال :

ـ حسن اذن ، فى وقت ما عندما كنا فى بحر ليدنبروك ، حدث واتجه مؤشر هذه البوصلة الى الجنوب بدلا من الشمال ٠

ـ تمام ٠

ـ اذن غلطتنا فسرت ٠ ما الذى يمكنه أن يسبب التغيير ؟

فقلت :

ـ أعتقد اننى استطيع أن أخبرك بذلك ٠٠ أثناء

تلك العاصفة على بحر ليدنبروك ، أثرت تلك الكرة النارية مغناطيسيا على كل الحديد الموجود على الطوف وأثرت مغناطيسيا على البوصلة بالتالى ٠

فضحك عمى قائلا :

ـ اذن لقد كانت نكتة ، نكتة كهربائية !

ومنذ ذلك اليوم أصبح عمى أسعد الرجال ٠٠ وأصبحت أنا أسعد منه حالا ٠٠ لأن جروين أصبحت الآن زوجتى ٠٠ !

فهرس

المقدمة ٩
١ ـ الاكتشـاف ١٣
٢ ـ الرسالة السرية ٣٧
٣ ـ أنه لجنون ! ٦١
٤ ـ الى ريكيافيك ٨٥
٥ ـ الاســتعدادات ١٠٦
٦ ـ ســنيفيل ١٣١
٧ ـ الهبوط ١٥٦
٨ ـ « اعطيني يوما آخر » ! ١٧٥
٩ ـ مزيدا من الهبــوط ٢٠٥
١٠ ـ الضــياع .. ! ٢٢٩

١١ ـ مائة ميل تحت سطح الأرض . . ٢٥١
١٢ ـ خطر داهم ٢٧١
١٣ ـ ساكنوسيم ثانية ٣٠٠
١٤ ـ فى البركان ٣٣٠
١٥ ـ الخروج من البـركان ٣٥٠

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨١٢١/٩٧

I. S. B. N 977 - 01 - 5328 - 1